
دار الثقافة
آجنز كانجهام
الصلاة
سلسلة رسائل
آبـاء
الكنيـسة
Bibliotheca Alexandrina
0016559

سلسلة آباء الكنيسة

الآبـــاء والصـــلاة

بقلم
آجنز كاننجهام

ترجمة
مكرم شحاته

مراجعة
القمص إشعياء ميخائيل



Prayer
Personal & Liturgical
Message of the Fathers of the Church
By: Agnes Cunningham, S.S.C.M.
This book was first published in 1985 by Michael Glazier.Inc

Translated by permission and published in Arabic , 1997

طبعة أولى

الآباء والصلاة
صدر عن دار الثقافة – ص.ب ١٢٩٨– القاهرة

١٠/ ٧٣٧ ط١/٢-٢/ ٩٧
رقم الإيداع بدار الكتاب: ٩٣٦٣ / ٩٧
ISBN 977 - 213 - 398 -9
جمع وطبع بمطبعة سيوبرس

مقدمة الدار

رسائل آباء الكنيسة كان لها دور فعال في صياغة الفكر اللاهوتي للكنيسة عبر عدة قرون، بل أننا نستطيع أن نقول إن آباء الكنيسة بما قدموه من اجتهادات فكرية. وتراث كنسي لازال يسهم إسهاماً كبيراً في صياغة الفكر اللاهوتي المعاصر، ومع أن منطقتنا العربية شهدت عطاء وفيراً لنخبة كبيرة من آباء الكنيسة إلا أن عدداً كبيراً من هذه الأعمال لازال حبيس لغات قديمة لا نتحدثها اليوم، مما يجعل هذا الكنز مخفي عن ملايين من القراء، لهذا رأت دار الثقافة حتمية تقديم هذه الأعمال الرائعة المتعددة لآباء الكنيسة .

إن هذه الرسائل التي تقدمها دار الثقافة إلي القارئ العربي هي سلسلة رسائل آباء الكنيسة وهي صدرت من دار نشر (The Liturgical Press) باللغة الإنجليزية. ولقد قررنا ترجمة هذه الأعمال كما هي في اللغة الإنجليزية دون إضافة أو حذف أو تعديل في المعني، فلقد اتبعنا الدقة المتناهية في عرض هذه الدراسات كما قدمها الناشر الإنجليزي، ولهذا ربما تأتي أجزاء في هذه الدراسات مناسبة لواقعنا اليوم، وقد تأتي أجزاء أخري قد تكون غير مرتبطة بالمتغيرات الكثيرة التي حدثت للبشرية في المراحل الأخيرة من تطورها، ومع هذا يسعد الدار أن تقدم هذا التراث كما هو، سواء كنا نوافق معه أو نختلف علي بعض قضاياه، فالتراث تراث، وما قاله الآباء يجب أن تتم دراسته في ضوء القرينة السياسية والثقافية والاجتماعية لعصرهم.

إن دار الثقافة تفخر بتقديمها سلسلة رسائل آباء الكنيسة متمنين أن تكون سبب تقدير وإلهام للكنيسة في مصر والعالم العربي.

دار الثقافة

مقدمة الناشر

رسالة آباء الكنيسة هي عبارة عن سلسلة مصاحبة لرسالة العهد القديم ورسالة العهد الجديد، وقد وضعت فكرتها وتم التخطيط لها تأسيساً علي معتقد أن النص الكتابي والتراث عملا معاً لتشكيل فكر الكنيسة الأولى وحياتها وعبادتها ، ومن ثم فقد رئي أن مثل هذه السلسلة يمكن أن تكون المسلك الأكثر فعالية لفتح ما أصبح حتى الآن حقاً كتابياً مقفولاً لقراء العصر الحديث، كما أنها يمكن أن تبعث الاهتمام بدراسات آباء الكنيسة جنباً إلي جنب مع الانبعاث الحديث السار لدراسات الكتاب المقدس.

عادة ما يشير تعبير "آباء" إلى الكتّاب المسيحيين الذين يتسمون باستقامة الرأي والعقيدة، بقداسة الحياة، بالاعتماد الكهنوتي والقدم. وتفهم كلمة "القدم" عادة علي أنها تشمل أولئك الكتّاب الذين يرجعون الي عصر أغريغوريوس الكبير (+٦٠٤) أو ايسذوروس من سفيل (+٦٣٦) في الغرب ويوحنا الدمشقي (+٧٤٩) في الشرق ، علي أنه يلاحظ أنه قد تم التشجيع إلي الاتجاه نحو مرونة أكبر بهذه السلسلة بحيث تشمل أحياناً شواهد لكتّاب لا يتسمون باستقامة الرأي (الأرثوذكسية) وذلك لإيضاح تطور الرسالة في أمور عقائدية معينة ، وكذلك يستخدم أحياناً كتّاب يرجعون إلي ما بعد منتصف القرن الثامن لإيضاح استمرار التراث في أمور مثل لاهوت الأسرار المقدسة أو الممارسة الطقسية .

لقد بذلت محاولات جادة لاختيار مشاركين من قاعدة عريضة من مختلف الطوائف والمعتقدات ، مع الأخذ في الاعتبار الأول توافق دارسين يمكنهم معالجة دراسات

الآباء بلغتهم الأصلية في موضوعات أظهروا بها من قبل اهتماماً خاصاً ومقدرة بارزة، وتوجيه المشاركين المختارين، إلي أن النشر لا يركز إلا علي جعل الآباء يتحدثون غالباً عن أنفسهم وأن يكون حديثهم بلغة إنجليزية حديثة مقروءة وموثوقة، واعتبرت المؤلفات المعدة عن موضوعات فردية أكثر ملائمة عن المؤلفات المخصصة لآباء معينين بأمل أن يضيف كل موضوع جزءا هاماً للنسيج الكلي للكنيسة الأولي، كنيسة واحدة مقدسة كاثوليكية رسولية، بحيث يتضمن كل كتاب مقالاً افتتاحياً يوضح الخطوط الرئيسية للتطور التاريخي واللاهوتي للموضوع واهتمام مضمون الكتاب أساساً بشواهد متحررة من الآباء مترجمة بلغة إنجليزية حديثة مع حد أدنى من التعليقات الرابطة. لقد تضمن الكتاب قوائم قصيرة للقراءات الأخرى المقترحة مع عدم تشجيع الحواشي الدراسية المركزة علي أساس أن مثل هذه الاختصارات الدراسية لها مصادر أخري،وأنها تميل الي ضياع معظم تركيز القارئ المتخصص بشدة إن لم يكن كامل تركيزه في سلسلة شبه شائعة .

كما يحذر إرينو من مدينة ليون قراءه في مستهل كتابه "مقاومة الهرطقة" Against Heresies بقوله "لا تتوقعوا مني أي عرض بلاغي الذي لم أتعلمه، ولا أي تميز في الإنشاء الذي لم أمارسه ، ولا أي مجال أو إقناع في الأسلوب الذي لا أدعيه"، كذلك يمكن وجود متواضعين غير مدعين بين الكثير من الآباء اليونانيين واللاتينيين ، وكلهم في كثير من الأحيان نظر إليهم العالم غير المهتم حسب كلامهم، علي أنهم في حقيقة الأمر كانوا غالباً نتاجاً عالي التعليم لأفضل مدارس البلاغة في عصرهم بالامبراطورية الرومانية، ويعتبر غالباً ما كان عليهم قوله درساً في الأدب والحضارة كما هو درس روحي ثقافي .

يعكس القديس أغسطينوس Augustine في كتابه "مدينة الله City of God" (٧ و ١٩) بشكل ممتع الحاجة إلي لغة مشتركة لمجتمع عالمي متمدد، إذ بدون هذه اللغة

المشتركة يحس الإنسان بالألفة في بيته مع كلبه أكثر مما يحس مع أجنبي، بقدر ما يعنيه التواصل حتي في الامبراطورية الرومانية التي تفرض علي كل الأمم التي تمثلها نير كل من القانون واللغة، مما ينتج عنه وجود وفرة من المترجمين . وعلي هذا فمن المأمول أن يثبت المشاركون في هذه السلسلة أنهم مترجمون ملائمون لرسالة الآباء المسيحية في العالم الحاضر الذي لا تزال به هذه الحواجز اللغوية المستمرة.

توماس هالتون

المحتويات

صفحة

الجزء الأول

عقيدة الآباء في الصلاة المسيحية

الجزء الثاني

مختارات من كتابات الآباء

المؤلفة

آجنز كانجهام (اس اس سي ام) Agnes Cunningham S.S.C.M. لاهوتية ودارسة لآباء الكنيسة، هي أستاذة دراسات آباء الكنيسة ، ومديرة قسم تاريخ الكنيسة بكلية سانت ماري في ليك بمدينة ماندلين ولاية الينوي Saint Mary of the Lake Seminary in Mundelein وهي الرئيسة السابقة لجمعية اللاهوت الكاثوليكية الأمريكية (١٩٧٧ - ١٩٧٨) ، وحاليا عضوة بمجلس إدارة مدرسة القلب المقدس للاهوت (هالز كورنرز، فزكونسن) وكذلك بمجلس إدارة مجلة التأمل، وهي مستشارة لاهوتية للجنة ان سي سي بي الخاصة بالمرأة في المجتمع والكنيسة . ومن بين كتبها الحديثة كتاب الأسقف في الكنيسة : نصوص الآباء عن دور الأساقفة.

في ذكري

والداي مونيكا وميشيل

اللذان علماني أن الصلاة

عبارة عن أمر يخص العقل والقلب،

يتعلق بالروح والقوة ويدفع إلي الخدمة المحبة

للفقير والمحتاج

اعتــراف

لابد من الاعتراف بجهد عدة أشخاص قدموا مساعدتهم لإكمال هذا الكتاب ، وأقر بامتناني في المقام الأول لطلابي بكلية سانت ماري في ليك بمدينة ماندلين ولاية إلينوي لتمكيني من متابعة البحث الأساسي لهذا العمل في عدة حلقات ، وهو بحث جاء ضمن برنامج درجة قوانين الكنيسة أثناء عملهم بمشاريع رسائل الماجستير والدكتوراه، حيث تنعكس رؤيتهم وتحفيزهم في مادة هذا الكتاب وفي صورته النهائية، وهناك مشاركان في هذا العمل يستحقان كلمة شكر خاصة : هما السيدة جلوريا سيبين Mrs. Gloria Sieben ، مشرفة مكتبة كلية لاهوت سانت ماري التي كانت كفاءتها وتشجيعها وحياً ملهماً ودافعاً رقيقاً لي علي الدوام، ولين جودوين Lynne Godwin سكرتيرتي الأمينة النشطة المتفائلة التي لم تتوقف مطلقاً عن التأكيد بأن هذا العمل لابد وأن يصل إلي درجة الاكتمال .

كما أخص بالشكر أيضاً ميشيل جلازير Michael Glazier علي دعوته الأولي لي لوضع هذا الكتاب، وعلي طول أناته بصورة لا تخفق أبداً .

المقـــدمـــة

منذ العصور الأولي للمسيحية سعي أتباع يسوع إلي كيفية التجاوب مع تعاليمه وأوامره وإلي الأمانة للإنجيل الذي يعلن دعوة عامة الي القداسة، (Cf. Vatican II, Lumen gentium, chapter V) وفيما يختص بالصلاة كان لابد أن تتضمن هذا التجاوب الجرأة علي التمسك بعقيدة تحث المؤمنين علي أن "يصلوا كل حين ولا يملوا" (لوقا ١٨:١)[١] والإبداع في تلمس معني وصية تسليم حياة الإنسان بكاملها وكل اهتماماته إلي الله الذي هو الآب (لوقا ١١:١-٢) .

يوفر إحياء الاهتمام بدراسات آباء الكنيسة وخاصة منذ عصر الفاتيكان الثاني المجال الذي يمكن لنا أن نتجه منه إلي رجال ونساء العصر الذي يعرف باسم العصر المسيحي القديم ، لنسمع ما يريدون أن يقولوه عن الصلاة المسيحية، سواء كانت الصلاة الشخصية أو الصلاة الطقسية، علماً بأننا لسنا الجيل الأول من التلاميذ الذي يقوم بالبحث عن مشورة الآباء فيما يتعلق بمسألة الصلاة، إذ أن التعاليم التي تأتي إلينا من القرون الأولي للعصر المسيحي قد أنعشت تراث الروحانية المسيحية ورسّختها عبر القرون ، ومن ثم فإن اهتمامنا الأساسي في الوقت الحاضر ينبع من الاقتناع بأنه لا يمكننا أن نتطلع إلي الآفاق البانورامية لملكوت الله، الذي يقع أمام - بصرنا - إلا بالوقوف علي أكتاف عظماء الماضي [٢] .

---

(١) كل النصوص الكتابية المقتبسة مأخوذة من ترجمة N.E.B

(٢) هذه العبارة تستخدم بشكل متكرر للإشارة إلي رجوع الأجيال اللاحقة إلي الآباء.

١ - طرق الصلاة التسع للقديس دومينيك St. Dominic

وقع بصري منذ بضعة أشهر علي النسخة المزودة بالرسوم التوضيحية لكتاب القديس دومينيك St. Dominic "طرق الصلاة التسع" : الإنحناء ، حتى الركبة، السجود، العمل النسكي، التأمل ، التشفع الجاد، التضرع، القراءة بتفكير عميق، الصلاة في الارتحال. طريقة الصلاة (هذه) هي (تلك) التي تستخدم فيها الروح أعضاء الجسم للارتقاء بمزيد من التكريس إلي الله، حيث تعمل النفس علي تحريك الجسد، وفي نفس الوقت تنفعل بدورها بحركات الجسد، حتي تصل في بعض الأحيان إلي حالة من الاندماج الروحي مثل بولس، وفي بعض الأحيان إلي حالة من الألم مثل مخلصنا يسوع المسيح، وفي أحيان أخري إلي حالة من البهجة مثل داود النبي [٣] .

لقد تبينت من دراستي واستعراضي للشكل الصغير المصور لتعليم القديس، أن دومينيك يقف بثبات علي تراث المعلمين العظام وقادة الصلاة بالكنيسة الأولي، والواقع أن هذا النص الذي يصف الطرق التسعة للصلاة يبدأ بالاعتراف لمشاركة كل من "اغسطينوس وليو وأيروسيوس واغريغوريوس وهيلاري وإيسيدورس ويوحنا فم الذهب ويوحنا الدمشقي كمعلمين" فقد أقاموا فكرة يمكن أن نسميها اليوم "الصلاة المقومة" Wholiatic prayer، فقد كانت صلاتهم مثل محبتهم استجابةً لتعاليم الإنجيل "تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك وقريبك مثل نفسك" (لوقا ١٠:٢٧) .

---

(٣) طرق الصلاة التسعة للقديس دومينيك" Simontugwell St. Dominic (ترجمة سيمون توجول) المجلة الكاثوليكية الكندية ، مارس ١٩٩٣ ، ص ٩٣/٢٢ .

٢ - خطة عامة

ما نعنيه بهذا الكتاب هو أن نسمع ونختبر "رسالة " من آباء عدة (ومن "أم" واحدة علي الأقل) عن الصلاة الشخصية والطقسية علي حد سواء. ولتحقيق ذلك علينا أن نستعرض التعاريف والنماذج الأولي للصلاة، ونحاول صياغة لاهوت للصلاة في ضوء الدلائل الأولي المتاحة من الثمانمائة سنة الأولي من العصر المسيحي، مع تقديم مختارات من وثائق معينة في محاولة لإنتاج صورة كاملة بقدر الإمكان للطريقة التي تعلم بها المسيحيون الأوائل كيف يُصلون ، والتي شاركت في تطوير مفهوم الصلاة. وفي النهاية يقدم سرداً مختصراً للمراجع ذات الصلة لمن يريد التوسع في القراءة حول الموضوع، وبذلك قد يكون من الممكن تعريف الهدف الشامل لهذا العمل بأكمله علي أنه أحد أمهات المراجع الأولي العظيمة عن الصلاة. من يصلي بلا انقطاع هو ذلك الإنسان الذي يربط الصلاة بالأعمال الطيبة الملتزمة ، لأن أعمال الخير وتنفيذ ما يرتبط بها تشكل جزءاً من الصلاة، ولا يمكننا إلا بهذه الطريقة فهم وصية الصلاة بلا انقطاع علي أنها شئ يمكننا تنفيذه ، أي إذا نظرنا إلي حياة القديس الكاملة علي أنها صلاة عظيمة مستمرة (٤)

(٤) عن الصلاة، أوريجانوس (ترجمة جون جي أوميرا) ACW ١٩ وستمنستر، ماريلاند، مطبعة نيومان ١٩٥٤، ص ٤٦-٤٧.

الاختصارات Cabbreviations

الكتاب المسيحيون الأقدمون.................	ACW
المجموعة الكاملة لكتابات وقوانين مسيحية ..	CCL
المجموعة الكاملة لكتابات الكنائس اللاتينية..	CSEL
آباء الكنيسة	FOTC
دراسات لاتينية آبائية	GCS
المصادر المسيحية	SC

الجزء الأول

عقيدة الآباء عن الصلاة المسيحية

الفصل الأول

تعريف الصلاة المسيحية

هناك حقيقة ثابتة أن الصلاة لم تبدأ مع المسيحية ، فقد ورث المسيحيون الأوائل تراثاً قوياً متنوعاً من الصلاة عن اليهودية من ناحية، وخبرة مكثفة وإن كانت في بعض الأحيان غامضة عن الصلاة الوثنية والأممية من ناحية أخري، علاوة علي أنه عندما بدأ المسيحيون يصلون كمسيحيين، لم يتوصلوا مباشرة الي تعريف الصلاة . حقاً كانوا يصلون ويتحدثون ويكتبون عن الصلاة قبل أن يحاولوا "تعريفها" بوقت طويل.

يقدم القديس توما الأكويني Thomas Aquinas في Summa Theologica (II-IIae, q. 83,a 1) عدة إجابات مسيحية قديمة على سؤال "ما هي الصلاة". ويكتب أغسطينوس Augustine أن "الصلاة هي طلبة" (٥) . كما عبر يوحنا فم الذهب John chrysostom عن نفس الفكرة" أية سعادة تمنح لك، أية كرامة تضفي عليك عندما تتحدث إلي الله في الصلاة ، ثم تتحدث مع المسيح تطلب كل ما تعتز به وكل ما ترغبه.(٦)

يصف كل من كاسيودورس Cassiodorus ويوحنا الدمشقي John Damascene الصلاة بعبارات مشابهة ، فالصلاة بالنسبة لكاسيودورس هي استدلال شفهي (oris

---

(٥) De Verbi Domini

(٦) عظات عن سفر التكوين ١٣ ، ٣٠ الجزء السابع (ترجمة المؤلفة) عن الصلاة ٢. ماريلاند، مطبعة نيومان ١٩٥٤ ، ص٤٦-٤٧ .

ratio [٧] وبالنسبة ليوحنا الدمشقي الصلاة هي "طلب التحول إلي أشياء ملك لله"[٨].
هذا وقد مرّ موضوع الصلاة عبر طريق طويل بين التعبيرات الأولي عن الصلاة التي يمكن القول بأنها صلاة مسيحية ، والتعاريف الأكثر تقدماً لها ، وهي مسافة لا يمكن قياسها كثيراً بمقياس الزمن مثلما يمكن قياسها بمقياس الاختبار المسيحي للإيمان ، وفي المجهودات التي بذلت للتعبير عن الإيمان في بحثه عن الفهم (Fides quaerens intellectum)

إن أكثر الطرق عوناً للوصول إلي "تعريف آباء الكنيسة للصلاة "هو أن نعرف أن الموضوع الذي نبحثه سيكون لاهوتياً بطريقة متدرجة ، علاوة علي أن فكرة الصلاة التي توجد بالوثائق الأولي والمتاحة لنا لابد من استخلاصها من الصلاة نفسها أكثر من استخلاصها من التعبيرات الوصفية عن الصلاة ، وبذلك فإن الديداكية (٢/٨) تقدم هذا التحذير حيث تقول "لا تصلي مثلما يفعل المنافقون ، بل صلّ كما أمر الرب في الإنجيل"[٩] ، ويكتب اكليمنضس الروماني Clement of Rome لنسقط علي ركبنا أمام السيد ونبتهل إليه بدموع أن يرحمنا .. لنسأله غفراناً لعصياننا .. لنصلّ من أجل أولئك الذين وقعوا في خطأ ما ، حتي يوهبون الحِلم والاتضاع ... (١٠).

(٧) تعليق علي المزمور ٣٨ ، ١٣.

(٨) Defide orthodoxe 111,24.

(٩) الدياكية ACW6 ، ١٩٤٨ ، (ترجمة جامس أ. كليست).

(١٠) الرسالة إلي أهل كورنثوس (ترجمة جامس أ.كليست) ACW1 ، وستمنستر ، مريلاند : مكتبة نيومان ١٩٤٦ ، ص٣٩، ٤٠، ٤٣ .

١ - كُتّاب مختــارون

تعكس النماذج الأولي للصلاة المسيحية ، وكذلك الوثائق التي تقدم صحة تعبيراتنا اتجاهاتها تأثيراً واضحاً لليهودية ومجمع الكهنة، ولكن هناك تخلٍ صارخ عن هذا التأثير يوجد في بحث ترتليانوس Tertullian عن الصلاة (De Oratione) حيث يقول "تتكون الصلاة التي صاغها السيد المسيح من ثلاثة عناصر : الروح التي يمكن أن تحصل علي تلك القدرة بالصلاة، والكلمة التي تعبر عن الصلاة ، والسبب الذي يجعل الصلاة تمنح الرضي والسلام" (١١). ويؤكد ترتليانوس علي أنه مع المسيح بدأ نوع جديد من الصلاة، وهي صلاة تنتمي بشكل خاص للمسيحيين ، وتتمثل أوضح ما يكون في الصلاة الربانية .

ثم يكتب أوريجانوس بعد ترتليانوس بأقل من خمسين سنة تاركاً لنا أقدم مناقشة علمية وجدت عن الصلاة المسيحية ، ويستخدم السكندري وهو يناقش رسالة الرسول الأولي الي أهل تيموثاوس أربع كلمات لأربعة حقائق تتعلق بمسألة الصلاة : الابتهالات والصلوات والتشفعات والتشكرات، ثم ينطلق لشرح هذه المصطلحات :

إن الشخص الذي يقدم الابتهال هو الذي يكون في حاجة إلي شئ ما .. وتقدم الصلاة مع تمجيد الله من شخص يطلب بطريقة أكثر حرارة لأشياء أعظم ، أما التشفع فهو طلب إلي الله يقدمه شخص له ثقة أعظم، والشكر هو الصلاة مع الاعتراف لله بأفضاله (١٢) .

---

(١١) الصلاة (ترجمة الأخت إميلي جوزيف دالي) FOTC40 ، ١٩٥٩ ، ١٥٨

(١٢) عن الصلاة ، الفصل ٢/١٤

٢ - البديهيات اللاهوتية المتدرّجة

عن طريق أوريجانوس دخلت إلي اللغة اليونانية المسيحية مفردات دقيقة عن الصلاة : deesis (الابتهال) proseuchai (الصلاة) enteuxeis (التشفع)، eucharistia (الشكر) . كذلك يفرق اوريجانوس بين الصلاة المصحوبة بنذر (euche) والاسترحام (proseuche) المقدم إلي الله . وفي مرحلة أخري أخذ أوريجانوس يبحث عن تنظيم لغته عن الصلاة في صورة مراحل متدرجة، وبذلك أصبح deesis (الابتهال) عبارة عن طلب الخيرات الروحية بشكل محدود ، أما proseulse (الصلاة) فهي تشير إلي انعزال النفس في اتصال طاهر بالله ، doxologia(التمجيد) كانت صلاة الاستغراق الكامل في تمجيد الله ، enteuxis (التشفع) هو التشفع من أجل الآخرين ، ويختتم أوريجانوس بحثه باستعراض "للأجزاء الجوهرية للصلاة" : doxologia (تسبيح في تمجيد الله) ، وeucharistia (الشكر) ، و exomologesis (الاعتراف بالخطية) ، و aitesis (التوسل).

يوضح تطور الفكر الذي يمكن أن يوجد في بحث أوريجانوس إلي حد ما المفهوم المتدرج وإبراز لفكرة الصلاة التي عبر عنها الكُتّاب اللاحقون في عصر آباء الكنيسة ، وان لم يقتف كل هؤلاء الكتاب آثار تعليم أوريجانوس بكامله ، إلا أنه يمكننا أن نتبين عند فحص بحثه عن الصلاة التأثير السكندري من ناحيتي المبادئ الأساسية وفكرة مراحل التطور التي اتسمت بها العقائد الكلاسيكية عن الصلاة في تاريخ الروحانية المسيحية .

الفصل الثاني

الصلاة المسيحية

يصر ترتوليانوس علي أنه في يسوع المسيح قُدمت نوعية جديدة من الصلاة إلي البشرية ، وهي تلك الصلاة التي يمكن وجودها متمثلة أوضح ما يكون في الصيغة المعروفة باسم "الصلاة الربانية" . وترجع أهمية هذه الصلاة إلي الوضع الذي أعطي لها في احتفالات القربان المقدس منذ العصور الأولي، وإلي العناية التي عولجت بها في الأبحاث والدراسات التي أجريت خلال عصر آباء الكنيسة ، فقد تم تشكيل الصلاة المسيحية سواء الشخصية أو الجماعية بأسلوب يشابه الصلاة الربانية التي كانت نموذجاً للاقتراب المسيحي إلي الله التي كان علي أتباع يسوع أن يعتنقونها ، وبشكل أساسي أكثر جاءت أهمية حفظ الصلاة الربانية و "توارثها" من :

مفهوم أن أحد العناصر الأساسية للطقوس المسيحية للتنصير كان عبارة عن تقديم متدرج للصلاة المسيحية علي اعتبارها بشكل خاص "صلاة نبوية"(١٣)

علي ذلك كان المسيحيون يصلون كما صلي الرب يسوع المسيح وكما علمهم أن يصلوا ، وبذلك اكتسبت الصلاة الربانية بسرعة قيمة معيارية ، فكلاً من اليهود والوثنيين الذين تحولوا إلي المسيحية بحثوا عن كيفية مخاطبة الإله المسيحي بأسلوب

(١٣) استعرت هذه الفكرة من وصف لخطوات طقوس كان على ايريني .. هنري دالماس تقديمها وفق وصف ورد بكتالوج ١٩٨٢ - ١٩٨٣ للمعهد الكاثوليكي ، باريس ، ترجمتي .

الناس، فتوفّرت الكلمات والتراكيب اللغوية، بل أكثر من ذلك توفّرت تركيبات تصف الحدود التي يمكن أن تمتد إليها الصلاة المسيحية، وبعثت الثقة غير المحدودة التي بها يمكن الالتجاء والثقة في محبة الله ورحمته.

١ - الصلاة الفردية والجماعية

رغم أن الصلوات الشخصية للفرد أخذت أولوية علي العبادة العامة من ناحية ، إلا أن الكنيسة الأولي كانت علي وعي بأنها ورثت نموذجاً منظماً للصلاة الرسمية من الرب يسوع المسيح، وقبل نهاية القرن الثاني كانت الصلاة اليومية تقدم في الصباح والظهر والمساء وفي منتصف الليل ، ورغم ذلك تظهر الصلاة الطقسية والصلاة الشخصية معاً في نوع من الاختلاط خلال العصر قبل النيقوي الأول (نيقوي أي منسوب الي المجمع المسكوني المنعقد في نيقية بآسيا الصغري عام ٣٢٥م) حيث كان المسيحيون المضطهدون يبحثون في نماذج واستخدمات اليهودية عن وسيلة للتعبير عن حدّة حماسهم الروحي ، واقتناعهم بإيمان قوي بالآخرة.

٢ - الصلاة الطقسية والقربان المقدس

خلال القرون الثلاثة الأولي كان جوهر الصلاة المسيحية هو الاحتفال بالقربان المقدس، وفي هذا الاحتفال كان المؤمنون ومازلنا نحن أيضاً نقدم الي الله ما أعطاه الله لنا أولاً ، ونقدم له تلك العطية التي هو في غني عنها ، فهو ليس في حاجة إلي أي شئ، ولكنها هي "التقدمة الطاهرة" التي تقدم في كل مكان (ملاخي ١:١١) والتي

تستمر بها الكنيسة في الولادة من جديد، والتي تقوم طالما أنها تمارس بإخلاص ما فعله الرب أولاً .

لا نجد قبل يوستينوس Justin (Apology 1.65-67) أي نص يقدم لنا وصفاً لاحتفال القربان المقدس ، وشرحاً للمعني العميق الذي جعل المسيحيين يتعمقون في تقدمة القربان المقدس ، وهي حقيقة برغم الشواهد التي تشير إلي القربان المقدس في الوثائق السابقة مثل كتاب إكليمنضس عن الرسالة الأولي إلي أهل كورنثوس (٤٠ :١-٥ ، ٤١ : ١-٢) بما فيها من صلاة الشكر الشبيهة بالأنافورا (القداس) anophora (تكرار اللفظة الواحدة في أوائل جملتين أو أكثر لغرض بلاغي) (٥٩ :٢ - ٦١ :٣)، ومثل الصورة التي تسري كنغمات الأورج في رسائل اغناطيوس الأنطاكي ، والأبعاد المسيحية التي تعزز الصياغة اليهودية الأساسية لاسترحامات الديداكية (٩،١٠،١٤) .

تمثلت المشاركة الكلية في طقوس القربان المقدس للمسيحيين في العصر قبل مجمع نيقية في ترديد كلمة "آمين" ، وفي عصر لاحق كان علي أوغسطينوس أن يجد الكلمات التي تعبر عن هذا الحدس المتقدم :

إذا كنتم جسد المسيح وأعضائه ، فإن القربان المقدس بالنسبة لكم هو الذي يوضع علي مائدة الرب، بل أنه القربان المقدس لكم الذي تتقبلونه، فتجيبون "آمين" لما أنتم عليه ، وهذه الإجابة ما هي إلا اعتراف، فلاشك أنكم سمعتم عبارة "جسد المسيح" لذلك كونوا أعضاء حقيقية بهذا الجسد حتي تخرج منكم كلمة "آمين" حقيقة واقعة.[١٤]

---

(١٤) الموعظة رقم ٢٧٢ PL ٣٨: ١٢٤٧-١٢٤٨ في "الكنيسة والصلاة المسيحية" هرف سافون Herve Savon ،سلسلة القديس سفرين للمسيحيين الكبار٣ ،نوتردام، انديانا :شركة مطبوعات فيدس ١٩٦٥ص٥٣.

كان الاحتفال بالقربان المقدس في بعض الأحيان متكرراً وعادياً، حيث يكتب جيروم Jerome عن أحد الأساقفة الذي لم يترك له حبه للفقر إلا سلّة من القش يضع بها جسد الرب، وكأساً من الزجاج البسيط يحتوي دمه الثمين(١٥)، في حين كانت طقوس القربان المقدس في أوقات أخري رسمية أكثر ، بل حتي فاخرة .وكان هذا هو الوضع بصفة خاصة الذي تلي سلام قسطنطين ، عندما أعطيت قوة دافعة شديدة للصلاة الرسمية للكنيسة، أي الطقوس وأصبح المعيار السائد هو إجراء هذه الطقوس يومياً، وكذلك باحتفال الأحد، وأصبحت تتلي صلوات باكر وصلوات عشية بالكاتدرائية يومياً، وبنهاية القرن الرابع أصبح من الممكن وجود أنظمة محددة تتعلق بكل ساعة في الدساتير الرسولية.

علي أنه برغم الميل المتدرج نحو ترسيخ قواعد قياسية موحدة للصلاة الطقسية المسيحية استمر الكثير من التنوع والاختلاف في الوجود بالكنيسة . وانعكس هذا الاختلاف بأوضح ما يكون في الأساليب المتعددة والعادات الكثيرة التي كانت تتسم بها وتكشفها الطريقة التي كان المسيحيون يصلّون بها صلاة فردية ، أو معاً في صلوات جماعية .

---

(١٥) الرسالة رقم ١٢٥، ٢٠ "إلي رستيكوس" .

الفصل الثالث

نمــاذج الصــلاة

١ - أنــواع الصــلاة

يمكننا عند دراسة التنوع الذي اتصفت به الصلاة المسيحية في عصر الآباء ، أن نتفحص باختصار أنواع الصلاة وأساليبها ، والمراسم المسجلة التي كانت تعتبر في حد ذاتها صلاة .

يشير مصطلح "أنواع الصلاة" إلي مختلف نماذج الصلاة التي وقع اختيار المسيحيين المنفردين عليها في توجههم إلي الله وفي محادثتهم معه ، ولقد وجدنا من قبل تعريفاً للنماذج الأساسية للصلاة في "أوريجانوس" . وفي إطار الحدود التي وضعتها الرؤية المسيحية ونظام الخلاص ظل أتباع يسوع يصلّون طوال حياتهم كمواطنين لعالمين مختلفين، ونتج عن انعكاس هذه الممارسة المزدوجة ما يمكن أن نسميه صلاة "وجودية"[(١٦)] .

كما كان علي السكندريين أكليمنضس وأوريجانوس أن يشرحا الصلاة ويعملا على تنقية هذه الصلاة الشفهية واحتضانها حتى :-

---

(١٦) الصلاة ٢ : القرون الثلاثة الأولي . أ . هامان ، أو . أف . أم تورناي (بلجيكا) ، الناشران دسكلي وسي ١٩٦٣، ص٥.

تخرج عن نطاقها الذاتي الي صلاة صمت تتصف بحالة من الاتحاد مع الله في حرية من الجسد ، فتصبح الصلاة رؤية ولكنها رؤية حب...[17]

وكان لابد أن يكون البعد السري للصلاة الذي ارتآه هؤلاء الآباء الأوائل هو البؤرة التي يرتكز عليها التعليم اللاحق في عصر آباء الكنيسة ، ولهذا رأي أوغسطينوس أن الصلاة تمكننا من الحياة من جديد "في العبور الي العالم الروحي الذي اختبرناه بطريقة سرية غامضة في السماء" [18]، وتحققت مجهودات المسيحيين في القرن الثالث لتقوية الصلاة بمشاركتها بالتقوي الشخصية كنوع من "النسيج العقائدي" [19] إلي حد ما بنشأة الرهبنة. فالصلاة الربانية، واستخدام النصوص الكتابية مع ترانيم المزامير لتشجيع "التأمل" في النص الموحي به، و"الصلاة الطاهرة" لأوغريس Evagrius ، كانت كلها تعني تسهيل إطاعة أمر الرب بالصلاة بلا انقطاع ، "كهدف تتجه إليه كل مجهودات الراهب نحو التحول إلي الرهبنة" [20]

٢ - أساليب الصلاة

تطورت أساليب الصلاة المسيحية -أو تراكيبها الرسمية- أكثر ما يكون نتيجة للرهبنة، حيث أصبح هذا النظام العامل المؤثر للتجديد في الكنيسة، وفي هذا التجديد

---

(١٧)" روحانية العهد الجديد والآباء" ، لويس بوير (ترجمة ماري بي ريان) "تاريخ الروحانية المسيحية" ١ نيويورك ، تورناي، باريس ، روما ، شركة وسكلي وشركاه ، ١٩٦٣ ص٢٩٩.

(١٨) سافون - مرجع سابق ص٦١

(١٩) هامان - مرجع سابق ص٧

(٢٠) بوير - مرجع سابق ص ٥٢٩

دُعي المسيحيون لتذكر الجذور والمصادر التي نبعت منها أصلاً الصلاة الجماعية : التأمل في آلام المسيح علي الصليب الذي كان بدون حضوره في الجسد رمزاً للنصر (tropaion) بالكنيسة الأولي ، وقراءة الكتاب المقدس كغذاء روحي ، والتنسك الذي هو شرط لابد منه للصلاة التي تخترق الحياة بكاملها وتعمل على تغييرها .

تحت عنوان "أساليب الصلاة" يمكن الأخذ في الاعتبار الإيماءات والحركات كتلك التي أدخلها القديس دومينيك في طرق الصلاة التسعة ، كما عادت الحياة لكلمات المزمور ٨٤ في الصلاة المسيحية الأولي : "قلبي ولحمي يهتفان بالإله الحي" ، وكان لابد أن تقدم الصلاة وقوفاً إلا في أوقات الكفارة أو التوبة ، وكان علي المسيحيين أن يتجهوا إلي الشرق وهم يصلّون، وكان يرمز إلي الكنيسة وقت الصلاة بشكل أورانس orans وهو شكل امرأة واقفة وذراعاها ممتدان وسعف النخيل مرتفعة إلي السماء ، وعندما سئل مكاريوس Macoreus "كيف يجب أن يصلي الإنسان؟" كان يجيب "يكفي أن يمسك الإنسان بيديه ويقول : يا رب كما تعلم وتريد ارحمني" (أقوال الأباء ١٦ Apophthegm) وكانت للإمالة العميقة من الخصر والسجود وقتها ومكانها" ، وكانت "لصلاة الأيدي" وكامل الجسم توافق مع التركيز الداخلي لأفكار الانسان بالمسيح.

ومع كل هذا احتفظت ممارسة الصلاة الطقسية، حتي وهي تتطور من الناحية التركيبية بالعادات البارزة ، من كنيسة محلية إلي أخري، ومن منطقة إلي أخري ، وأصبح العشاء الرباني المتوج بالصلاة والكلمة مركز كل العبادة المسيحية ، والممارسة الأساسية للروحانية المسيحية من التجمعات الشبيهة بالمجامع، حيث كان المسيحيون يتجمعون لأول مرة للقراءة والتشفع .

٣ - الطقوس

لإكمال صلاة شخصية يزداد فيها التأمل الشخصي والصلاة الطقسية المتقدمة التراكيب الطقسية، كان لابد من الأخذ في الاعتبار عدداً من الطقوس التي عرفتها الكنيسة الأولي كتغييرات للصلاة والشركة مع الله ، وكمحاولات لتقديس الزمان والمكان عن طريق نعمة المسيح المخلّصة.

ويمكننا في المقام الأول أن نعتبر ضمن هذا البند طقس يوم الرب، أي "يوم الشمس" كما سماه يوستينوس Justin حيث تشكل الكثير من السبت اليهودي أحد الاختيارات التي أخذت عن عمد لترسيخ صفة مسيحية بشكل فريد، واشترك مع هذا الطقس بشكل وثيق، الاحتفال بقيامة الرب الذي كان يقام كل يوم أحد في بعض الأماكن ، أو في اليوم الرابع عشر من شهر نيسان (أبريل) بتلك الكنائس المتأثرة بتراث أورشليم ، أو في يوم الأحد الأول التالي لأول اكتمال للقمر بعد الاعتدال الربيعي (٢١مارس) بالكنائس التي تبنّت الممارسة الرومانية ، وكان لابد أن يصل هذا التنوع الي أقصي نقطة تضارب في مناسبتين : الحث علي تدخل بوليكاربوس Polycorp الذي من سميرنا Smyrna أولاً ، ثم بعد ذلك ايريناوس Irenaeus الذي من ليون Lion في نزاع الأربعة عشر رجلاً Quartodeciman .

هذا علاوة علي "طقوس" أخري تعتبر كصلاة تشتمل علي الصوم يومي الأربعاء والجمعة حتي الساعة الثالثة مساءً، وهي ساعة وقع عليها الاختيار لتتوافق مع وقت موت المسيح ، كما اشتملت أشكالاً أخري للتنسك علي نوع من القسوة الاختيارية للحياة والعمل اليدوي- بصفة خاصة في الأديرة- والسفر إلي الأضرحة والأماكن المقدسة وروح الفقر والاتضاع في اتّباع الحياة المسيحية.

أما الطقسان الأكثر اعتباراً ، فهما الصدقة والشهادة المخلصة التي قدمها الشهداء. وكان كبريانوس Cyprian يعتبر أن الصلاة التي لم "تَسِر جنباً إلي جنب مع الصدقة" صلاة "عاقر" (sterilis oratio) ، كما اعتبر أوريجانوس الاستشهاد إتماماً متوّجاً لصلاة اخترقت الحياة المسيحية بكاملها ، وحولتها علي حساب النسك المؤدي الي الصلب ، وكان يتم الاحتفال بهذين الطقسين حول مائدة القربان المقدس، حيث يصبح رفات الشهيد مصدراً للإلهام والشجاعة، وحيث كان يعهد الشعب إلي رئيسه بالتقدمات لتوزيعها علي المحتاجين .

تعتمد مجهوداتنا للوصول إلي فهم للصلاة بالكنيسة الأولي إلي حد كبير علي قدرتنا علي استرجاع الطرق العديدة التي كان المسيحيون يصلّون بها ، من خلال الوصول إلي الأنواع والأساليب والطقوس التي كانت تتصف بها ، كتلك المشروحة أعلاه، علي أنه من الضروري أيضاً الاهتمام بالأنماط المتنوعة للصلاة، للوصول إلي التعاليم التي اعتمدت عليها ، والتي ظهرت في ذلك العصر عن طريق الآباء الذين تركوا لنا العناصر الأساسية لعقيدة الصلاة ، وأساسيات لاهوتها .

الفصل الرابع

نحو لاهوت للصلاة عند الآباء

إن استعراض تعاليم الآباء عن الصلاة يؤدي بنا إلي معرفة الطبيعة المتطورة لتلك التعاليم ، إذ أن المفاهيم الأولي للصلاة المسيحية تدرجت وتكاملت لاهوتياً بصورة متزايدة، وهذه الصفات تنطبق علي كل من الصلاة الشخصية والفردية ، وكذلك علي الصلاة الجماعية سواء كانت صلاة انتعاشية أو طقسية في طبيعتها، فحتي الطقوس التي برزت بالتدريج خلال عصر الآباء كانت تتسم أيضا بحدس لاهوتي يدعمها، وهو ذلك الحدس الذي اتجه نحو الرغبة في احتواء الحياة بكاملها، وأيضاً تلك اللحظة من الحياة التي كان يموت فيها الشهداء الأوائل .

بينما قد يكون من غير الممكن إظهار "لاهوت رسمي ومنظم للصلاة" في عصر الآباء، إلا أنه ليس من الصعب تعريف العناصر المكونة لعقيدة عامة للصلاة المسيحية في ذلك العصر، ويمكن وضع هذه العناصر تحت العناوين الرئيسية : التبشير والتصوف والذكري.

١ - التبشيـــر

إن مفهوم الكنيسة كإرسالية كما يحدده مجمع الفاتيكان الثاني ليس فكرة أصلية في العصر المسيحي القديم ، على أنه بالرجوع إلي العصور الأولي حتي أكليمنضس الروماني وسنين الاهتمامات المعاصرة بالكنيسة نجد وعياً بمسئولية المسيحيين عن الصلاة من أجل الدولة، ومن أجل الحكام القائمين علي الإمبراطورية، ومن أجل تلاميذ الرب وهم يعيشون حياتهم كبشر في هذا العالم .

إن عبارة "دراسة القرائن contextualization" كما يسميها اللاهوتيون اليوم هي التي شملت ما كان المسيحيون يعيشون ويصلّون ويعانون ويموتون به، فقد كان المسيحيون رجال ونساء العصر الذي عاشوه ، وكانت الأمور الخارجية للحياة اليومية في طابع الحياة الرومانية يمس عبادة الكنيسة مسّاً وثيقاً، ويؤثر علي الأسلوب الذي جعل الصلاة المسيحية تمكن أتباع الرب من الاستجابة بتعاون أو بمقاومة لأيدلوجيات المجتمع وأخلاقياته.

إن تنوع الحضارة بأنحاء الامبراطورية كان مظهراً آخر من مظاهر دراسة القرائن، هذا التنوع الذي أدي إلي تطور الصلاة المسيحية بأنواعها وأساليبها وطقوسها المختلفة فمن موقف أكليمنضس ، وهو يكتب إلي الكورنثيين في قلب وعاصمة الإمبراطورية باعتباره صوت الكنيسة التي تحيا غريبة في روما ، وحتي القرن الخامس وظهور السيدة ايجيريا Egeria الرحالّة المعروفة تميزت صلاة الكنيسة بأنها صلاة كنيسة تعتبر نفسها قائمة بإرسالية ، وأن هذه الإرسالية تهتم بأن يسمع الآخرون الأخبار السارة ، وأن يأتوا إلي معرفة الرب يسوع، وأن يختاروا تكريس حياتهم له بإيمان ومحبة وخدمة .

٢ - التصوّف

لا يرتبط عادة عصر آباء الكنيسة بقيام التصوف أو بالصلاة المتصوفة، إلا أن دورهم لا يمكن إغفاله، فتاريخ التصوف الذي يغفل أو يقلل من تقدير المشاركة التي تبرز من عصر الآباء لابد أن يكون تاريخاً غير مكتمل وتنقصه بعض الأحجار في أحد أساساته.

يمكن بسهولة اكتشاف جذور الصلاة المتصوفة في التسابيح الانتعاشية لإغناطيوس الأنطاكي Ignatius of Antioch وفي مناجاته وابتهالاته الهائمة ، ورؤية إغناطيوس وحماسه بهذه الصورة يعتبران سراً يحمل نوعاً من الشهية نحو الأشياء الروحية والشوق إلي الأمجاد السماوية والرغبة في "الذوبان للحياة مع المسيح" ، وفي كتاب إغناطيوس "الجسد Corpus" نجد بذور هذا النوع من ممارسة التأمل الذي يظهر مرة بعد أخري في تاريخ الصلاة المسيحية، فهو يظهر عند أكليمنضس وأوريجانوس وحتي أوغسطينوس ، من عهد الشعراء والمرنمين الأوائل وحتي أصداء ديونيسيوس الأريوباغي، وكذلك يظهر بدءاً من البساطة الموجودة في الصلاة الربانية وحتي الغوص بشغف في الأسرار المتمثلة في نقوش الجدران والصورة الجصّية والأيقونات .

٣ - الذكـــري

كان المسيحيون يرفعون صلاة لذكري المسيح، وكانت الصلوات الأولي توجه إلي الآب بذكر"ابنه الحبيب يسوع المسيح" ، ولكن الذكري كانت متميزة في احتفال القربان المقدس، حيث كان كل نوع ونموذج وطقس للصلاة له صدي أو رمز في صلاة القربان المقدس، وكانت ذكري صلاة القربان المقدس هي صلاة المسيح وصلاة الكنيسة سراً

مقدساً، كما كانت طقسية مقدسة، وفي احتفال القربان المقدس كانت هناك هتافات بأعمال الله المجيدة التي أعلنها إبراهيم وإسحق ويعقوب ، والتي ذكرها موسي والأنبياء علي أنها ميراث إسرائيل الجديدة. وفي احتفال القربان المقدس كانت تذكر وعود الله في المسيح انتظاراً لمجئ ثان قريب. في احتفال القربان المقدس كان جسد المسيح "يعود إلي الوجود" في الكنيسة .

وعلي هذا فإننا، ونحن نقرأ الرسائل المتعلقة بالصلاة المنقولة إلينا من كتابات آباء الكنيسة، يبدأ نموذج معين في الظهور أمام أعيننا ، ومن هذا النموذج يمكن لنا أن نتحرك في اتجاه تحديد ممكن لمفهوم لاهوتي ومبكر للصلاة المسيحية . كنشاط يمكّن تلميذ الرب معه - وعن طريقه - من أن يبحث عن الله بإيمان ويتقدم إليه برجاء يختبره ويتحدث معه في محبة، فيمتلئ بروح يسوع ليتفقد الآخرين باهتمام وعون. بمعني أن الصلاة المسيحية كما فهمها وعلّمها الآباء كانت كريستولوجية (أي تتعلق بالتعليل اللاهوتي لشخص المسيح وعمله) جوهرياً - ومن ثم كانت كتابية وكنسية - أي من الأسرار المقدسة ، وهذه العناصر حفظت في أفضل تراث للروحانية المسيحية عبر العصور، ولنا كل الحق في أن نجد أنفسنا في بيتنا علي راحتنا مع الآباء في الصلاة .

الجزء الثانى

مختارات من كتابات الآباء

وقع الاختيار علي المختارات التالية من كتابات الآباء لتمثيلها لنطاق عقيدة الصلاة عند آباء الكنيسة، وعمق هذه العقيدة ونوعيتها، وقد كان من الممكن أخذ نصوص أخري كثيرة بدلاً من تلك التي احتوي عليها هذا الكتاب، والدافع أن هناك مراجع أخري مثل كتاب أ. هامان "الصلاة المسيحية في العصور الأولي" (شيكاغو : شركة هنري رجنري ١٩٦١) تحوي مجموعة غنية ومتنوعة لصلوات من الكنيسة الأولي.

علي أن أنواع الصلاة المقدمة بهذا الكتاب تتسم بالوحدة والتنوع معاً ، وترجع هذه المختارات إلي الفترة من أواخر القرن الأول إلي القرن الخامس من العصر المسيحي، قام بوضعها شهداء وأساقفة ولاهوتيون ، شاعر ومرسل وفيلسوف متصوف ، وحتي عهد قريب نسبياً اتهم أحد المؤلفين بالهرطقة ، وآخر مات منشقاً . لكن كلا منهم شارك بطريقة فريدة وإيجابية في تطوير تراث الصلاة والروحانية التي يمكن أن نعود إليها اليوم للإلهام والدراسة .

الفصل الخامس

الصلاة المسيحية قبل مجمع نيقية

كانت الصلاة المسيحية في الفترة السابقة علي المجمع المسكوني المنعقد في نيقية (بآسيا الصغري) عام ٣٢٥م تميل إلي اتّباع نماذج موروثة عن اليهودية ، فلم يكن التعبير عن الصلوات من ناحية المفردات والرموز مأخوذاً فقط من العهد القديم، لكن كانت تراكيب الصلاة الداخلية والخارجية أيضاً مثل أوقات الصلاة ، وطريقة الوقوف والسجود مستعارة بحرية من شعائر المجمع اليهودي .

لكن الصلاة المسيحية أخذت صفة المسيحية - قبل نيقية- بسبب الإيمان المسيحي بيسوع كرب ، وبالله كما أعلنه يسوع، وكذلك بسبب معاناة المسيحية من استشهاد الشهداء .

١ - أكليمنضس الروماني Clement of Rome

يعتبر اكليمندس أسقف روما عامة أقدم آباء الكنيسة، وأول الآباء الرسوليين المعروفين، ومن المقبول بصفة عامة أن سنوات قيادته للكنيسة في روما تقع في الفترة من ٩٢م الي ١٠١م ، ولو أن بعض المؤلفين علي سبيل الاستثناء يقدمون تاريخاً أقدم ، وقد كتبت رسالته الأولي إلي أهل كورنثوس، وهي عمله الموثق والمعروف بصفة مؤكدة باسم كنيسة روما إلي المسيحيين في كورنثوس، في مناسبة أزمة ناتجة عن رفض غير

مستقيم الرأي لقيادة معينة بشكل شرعي للكنيسة في كورنثوس .

تتضمن الرسالة صلاة تشفعية (٢،٥٩ - ٦٤،٦٢) تعكس الاهتمامات العامة للمجتمع المسيحي، واهتماماً خاصاً بأولئك المصابين بالاضطراب وعدم الراحة في كورنثوس، وأول طلبة مسيحية عُرفت من أجل الحكام. وفي هذه الصلاة نجد أصداء لكل المفردات اليهودية وطقوس القربان المقدس المسيحية في احتفالات هذه القربان التي كانت تقام في روما.

٥٩ [٢١] مع الصلوات والتضرعات دعونا نتوسل إلي خالق الكون بإلحاح أن يحافظ علي سلامة كل مختاريه في جميع أنحاء العالم من أجل ابنه الحبيب يسوع المسيح ربنا ، الذي عن طريقه دُعينا من الظلمة إلي النور، من الجهل إلي معرفة مجد اسمه .

وبهذا يمكننا أيضاً أن نرجو باسمك الذي يرجع إليه أصل كل المخلوقات. لقد فتحت أعين قلوبنا حتي نعرفك ، الوحيد الأرفع في أعالي السموات، المقدس الأوحد بين القديسين.

أنت تخزي غطرسة المستكبر ، تفسد مكائد الأمم ، ترفع المتضع وتضع المستكبر، تغني وتفقر ، تأخذ الحياة وتمنحها.

أنت الواهب الوحيد للعقل البشري، وإله كل الكائنات

أنت تكشف أعمق الأعماق وتري أفعال جميع البشر

أنت المعين لكل من يحيطه خطر ومخلص اليائس

---

(٢١) النص اليوناني (SC 167)

أنت الخالق والمحيي لكل الأرواح.

أنت تكثر أمم الأرض وتختار من بينهم أولئك الذين تحبهم والذين يحبونك عن طريق ابنك الحبيب يسوع المسيح ، وفي هذا يا رب تعلمنا وتقدسنا وترفعنا .

لذلك نتوسل إليك أيها السيد أن تكون معيننا وحامينا ، أنقذ كل من يقع منا في تجربة ، ارفع من سقط، قف بجوار من هم في حاجة ، اشف المرضي، أعد الضال إلي قطيعك، أطعم الجائع، حرر المأسور، قو الضعيف، شجع الخائف، دع كل الأمم تعرف أنك أنت الإله الوحيد، وأن يسوع المسيح هو ابنك، وأننا "شعبك وقطيع مرعاك.

لقد أظهرت لنا نظام الكون السرمدي وحركته المؤازرة للإنسان ، ربي ، أنت خالق الكون ، أنت الأمين بكل جيل ، تحكم بالعدل ، عجيب في عظمتك وقدرتك ، وبحكمة خلقت كل الكائنات، وبفهم تؤازرهم ، أنت خير كل المرئيات، ملوك الرحمة لكل من له رجاء بك ، رءوف ورحيم . اغفر لنا خطايانا وتعدياتنا وسامحنا علي أخطائنا واستر لنا عيوبنا ، تغاض عن خطايا خدامك وخادماتك ونقّنا بفعل حقك المطهّر، وجه أقدامنا حتي نسير في قداسة قلب، نعمل الخير والصلاح في عينيك وأعين حكامنا ، نعم يا سيد أضئ بوجهك أمامنا لتؤمنا في سلام، أنقذنا من يدك الجبارة وخلصنا من جميع خطايانا بذراعك القوي، أنقذنا من كل أعدائنا الذين يمقتوننا دون حق، لترفرف علي كل المسكونة بالهدوء والسلام مثلما منحت سلامك لأسلافنا عندما تضرعوا إليك بإيمان في حق وقداسة ، ساعدنا لنطيع اسمك المتميز الكلي الوجود ولنخضع لقوادنا وحكامنا علي هذه الأرض. فأنت يا سيد

الذي منحتهم سلطة الحكم بقدرتك المجيدة التي لا ينطق بها، حتي يكون لنا أن نعترف بجلالك وعظمتك التي منحتها لهم، وحتي يكون لنا أن نخضع لهم وفق إرادتك، يا رب امنحهم صحة وسلاماً وتوافقاً وثباتاً حتي يمارسوا السيادة التي أضفيتها عليهم دون قيود، فأنت الحاكم السماوي ملك كل العصور الواهب الجلال والكرامة والقدرة للأرضيات لأبناء البشرية، يا رب وجّه قراراتهم نحو الخير وفي اتجاه كل ما هو مقبول أمام عينيك حتي يمارسوا السلطة التي منحتها لهم بوقار وفي سلام وخشوع، وبذلك يكونوا مرضيين أمامك، نشكرك يا رب لأنك الوحيد الذي يستطيع تلبية هذه الطلبات، بل الذي يمنحنا المزيد من الخيرات، نقدم لك الامتنان والخضوع في اسم الكاهن الأعظم والواقي الأقدس لنفوسنا، يسوع المسيح، لك فيه المجد والكرامة الآن ومن جيل الي جيل، ولكل الأجيال القادمة . آمين.

٢ - إغناطيوس الأنطاكي Ignatius of Antioch

استشهد إغناطيوس أسقف أنطاكيا في سوريا حوالي سنة ١١٠م ، وتعكس المجموعة الكاملة لرسائله السبع التي كتبها وهو في طريقه إلي روما كسجين قلب وعقل إنسان يمكن دون خجل أن يسمي نفسه حامل الله (Theophoras). والمختارات التالية هي مجموعة مركّبة من مقتطفات مأخوذة من رسالته إلي أهل أفسس التي كتبها أثناء إقامته القصيرة في سميرنا في طريقه إلي عاصمة الإمبراطورية (٢:١١ ، ١:٣ ، ٢:٤، ٩، ١٠، ١١، ٢١) (٢٢)

(٢٢) النص اليوناني (SC 10).

من الحق أن تمجد يسوع المسيح بكل الطرق، فهو قد مجّدكم . إنني لا أوجه إليكم أمراً وكأن لي هذه الأهمية، لأنني حتي وإن كنت بأغلال السلاسل من أجل اسمه إلا أنني لم أنمو لملء قامتي في يسوع المسيح. الآن فقط أبدأ في أن أكون تلميذاً أتعلم منه وأتحدث إليكم كرفاقي، ما أكثر حاجتي إلي تعضيدكم وصبركم وترفّقكم، كل واحد منكم يشكّل من الآخرين جوقة حتي تأخذوا في وحدة النغم الذي لحّنه الله بترديد متناغم كصوت واحد ترنمون ترنيمة الآب بيسوع المسيح، فيستمع لكم ويعرفكم عن طريق الأعمال الطيبة التي تقومون بها كأعضاء في جسد ابنه، ولهذا فإن من الأهمية لكم أن تكونوا في وحدة لا يعتريها انفصال حتي تكونوا دائماً شركاء في الله نفسه. فأنتم تشكّلون أحجاراً في معبد الآب مرفوعين إلي أعلي بالرافعة التي هي يسوع المسيح، أعني صليبه مع روحه القدوس الذي يعمل لكم مثل كابل موصل، إيمانكم يشدكم لأعلي، وبذلك تحملون جميعاً سفر الله كرفقاء، وتحملون المعبد والمسيح وأوعية مقدسة ، وبكل الأشياء تزدانون بوصايا يسوع المسيح.

صلّوا بلا انقطاع من أجل الآخرين، فهناك رجاء أن يتوبوا ويرجعوا إلي الله دعوهم علي الأقل أن يصبحوا تلاميذاً لكم من أجل أعمالكم، عاملوهم برفق وهدوء إذا غضبوا ، وعندما يتفاخرون ويتباهون أظهروا لهم التواضع، وعندما يجدفون صلّوا من أجلهم، وعندما يضلون اثبتوا في الإيمان ، وعندما يستأسدون كونوا صنّاع سلام، لا تحاولوا أن تكونوا مثلهم بل لنكن إخوة وأخوات لهم، نظهر الخير لهم فنتمثّل بالرب الذي كان بيننا هدفاً للظلم يعاني من أقصي الحرمان مرفوضاً من الجميع ، فلا تجعلوا أياً من زرع الشيطان ينمو وسطكم ، وبكل الطهر وضبط النفس تثبتون جسداً وروحاً في يسوع المسيح ، فإنه لا يمكننا أن ندخل في الحياة الحقّة إلا إذا وُجدنا في المسيح ، فلا تكن لكم كنوز منفصلة عنه. إنني فيه تقيدني هذه السلاسل وكأنها لآلىء روحية،

فلذلك لابد أن أنهض وإن كنت لا أزال بهـذه الأغـلال بفـضل صـلاتكم التي آمل أن أشارككم إياها دائماً كوريث للمسيحيين في أفسس الذين بقوا دائماً متحدين مع الرسل بقوة يسوع المسيح.

اذكروني كمـا أنتم دائمـاً في فكر المسيح، صلّوا من أجل الكنيسـة في سـوريا وابقوا علي حق مع الله الآب، وفي يسوع المسيح الذي هو الرجاء الذي نشترك فيه معاً.

٣- بوليكاربوس من سميرنا Polycarp of Smyrna

كرجل ناضج يذكر ايريناوس العظيم أسـقف (ليـون) في ولاية غـاليـا (جـول) الرومانية في القرن الثاني التوجيهات التي تلقاها وهو طفل من "بوليكاربوس المبارك" الذي هو نفسـه كان مع من سمع يوحنا "والآخرين الذين رأوا الرب"، بوليكاربوس الذي اعتقل بعد ستة وثمانين عـاماً قضاها في خدمة المسيح بإخلاص، وحوكم وأدين وقـضي عليه بالموت فكرّمه المسيحيون"كـمعلم رسولي متنبئ" ويدعونه الوثنيون" معلم آسيا وأبا المسيحيين محطم آلهتنا" .

يعتبر استـشـهـاد بوليكاربوس قـصة شهـادة واقـعية تعلن عن قصة أحد شـهـود العيـان الفكر اللاهوتي والروحي للاستـشـهاد بـالكنيـسة الأولي. وفي المقتطفات التـاليـة (٥، ٧، ٨، ١٤، ١٥، ١٩،) [٢٣] نجد صورة لأسقف سميرنا كرجل صلاة .

---

(٢٣) مترجمة مع تحوير بسيط من النص الفرنسي "الامبراطور والصليب، أو البرت هامان OFM الناشر، رسائل مسـيحيـة ، ٢باريس : جراسيت ، نشرات باريس ١٩٥٧ (النص اليوناني لفونك- بهلميـر المراجع بالمصادر المسيحية ١٠أ).

كان بوليكاربوس أكثر الشهداء إبهاراً أول الأمر عندما علم بكل ما حدث ولم يشعر بالقلق، بل رغب في أن يبقي في المدينة ، ولكن نظراً لإصرار الجميع وافق علي المغادرة، واحتمي بعقار صغير لا يبعد عن المدينة حيث بقي مع القليل من رفاقه، وظل طوال الليل والنهار لا يفعل شيئاً سوي الصلاة من أجل كل الناس، ومن أجل جميع الكنائس في كل أنحاء العالم، واستمر في ذلك علي الدوام، حيث كانت له رؤية أثناء الصلاة رأي بها وسادته مشتعلة بالنيران، فذهب إلي رفاقه وقال لهم : "سأحرق حياً" .

(عندما اعتقل جنود الإمبراطورية بوليكاربوس طلب وقتاً للصلاة قبل أخذه إلي السجن) .

وطلب منحه ساعةً واحدةً يمكنه بها الصلاة بحرية، وعندما أجيب إلي طلبه وقف وبدأ يصلّي بصوت مرتفع مثل شخص تملأه نعمة الله، وبذلك استمر يصلّي بصوت مسموع لمدة ساعتين غير قادر علي التوقف، وكل من سمعه أخذه العجب وكثير من الجنود ملأهم الأسف لاضطرارهم الوقوف ضد رجل متقدم في العمر له كل هذه القدسية.

ثم اختتم صلاته التي ذكر بها كل من كان يعرفه طوال مسيرة حياته الطويلة : الصغير منهم والكبير ، العظيم والبسيط ، والتي صلّي بها من أجل الكنيسة الجامعة كلها المنتشرة في جميع أنحاء العالم ، ثم جاءت ساعة مغادرته في يوم سبت عظيم .

(لقد جاءت اللحظة لحرق بوليكاربوس علي خازوق) .

فربط بالخازوق ويداه مثبتتان خلفه حيث بدأ بوليكاربوس وكأنه كبش فداء اختير من بين قطيع كامل وأعد للتضحية ، فرفع عينيه إلي السماء وأخذ يصلي :

"يارب يا إلهي العظيم ، أبا الابن المبارك الحبيب يسوع المسيح الذي به عرفناك، إله الملائكة والقوي السماوية، إله الخليقة كلها وإله كل العدل الذي لا يكون إلا في وجودك : أباركك يا رب لأنك رأيتني أستحق أن آتي إلي هذا اليوم وهذه الساعة، لقد وجدتني أستحق أن أقف بين عدد من شهدائك وأن أشارك بكأس مسيحك حتي أرفع إلي الحياة الأبدية نفساً وجسداً في نقاء الروح القدس.

هل لي أن أستقبل معهم اليوم في حضرتك كتقدمة ثمينة مقبولة ، فلقد أعددتني لذلك وأنبأتني به ، حفظت عهدك أيها الإله الأمين، إله الحق، أسبحك يا الله وأباركك من أجل هذه النعمة، ومن أجل كل ما أعطيته لي، أمجدك في يسوع المسيح الكاهن السماوي الأزلي، ابنك الحبيب . بالمسيح يسوع الذي معك، وبالروح القدس لك المجد الآن وإلي الأبد آمين".

عندما أنهي بوليكاربوس صلاته ونطق بهذه الكلمة "آمين" أشعلت النار وارتفع اللهب عالياً ومحرقاً حتي بدا وكأنه يشكّل قوساً أو سارياً مملوءاً بالرياح يحتضن جسد الشهيد، ووقف الأسقف في وسط النيران ليس كلحم يحترق، ولكن كخبز يتحول إلي اللون الذهبي وهو يُخبز ، أو كفضة وذهب منقاة في بوتقة.

هذه قصة بوليكاربوس المبارك ، هو الآن مع الرسل، ومع الإله العادل الممجد بهناء الآب القوي، وربنا المبارك يسوع المسيح مخلص النفوس سيد البشر راعي الكنيسة الجامعة المنتشرة في جميع أنحاء العالم وكاهنها الأعظم.

٤ - شهداء الغال (Gaul) المسيحيين

في عام ١٧٧م تعرّض الشعب المسيحي في فينا وليون (LUGDUNUM) لاضطهاد قاسٍ حيث قتل الأسقف العجوز برثينوس مع عدد كبير من المؤمنين، وجاءت إحدي الشهادات الأكثر غرابة من أمَةٍ تدعي بلاندين، كان إيمانها وشجاعتها مصدر قوة للآخرين أثناء محاكمتهم مما أكسبها لقب "أم" الشهداء.

سجلت رواية ذلك الاضطهاد في رسالة إلي المسيحيين في آسيا وفريجية بعنوان "أعمال شهداء ليون" ، وواضع هذه الرسالة كاتب غير معروف (٢٤)

(بعد اعتقال المسيحيين ومحاكمتهم وإدانتهم ، أُحضر البعض منهم أمام الجمهور.

حقاً كلّ منا كان قلقاً علي بلاندين Blandine وكذلك سيدتها التي كانت أيضاً ضمن الشهداء في هذا الكفاح، هذه السيدة كانت تشك في أن بلاندين يمكنها أن تعترف بإيمانها عن اقتناع، وذلك بسبب ضعفها الجسدي، ولكن علي العكس كانت بلاندين، ممتلئة بقوة حتي أنها تغاضت عن طابور الجلادين الذي تعاقبوا واحداً تلو الآخر علي تعذيبها من الصباح إلي الليل. رغم أنهم هم أنفسهم أقروا أنهم لم يتركوا شيئاً آخر كان يمكنهم أن يفعلوه بها، لقد كانوا هم الذين تعجبوا ليروا أنفاسها لا تزال في جسدها الممزق والمطعون، وأكدوا أن نوعاً واحداً من التعذيب فقط كان يكفي لقتلها، ولم يكن من الضروري أن يكونوا بهذه الكثرة ، أولئك الذين يبذلون هذا المجهود ، فقد كانت هذه

(٢٤) ايزبيوس .HEv ٣:١ - ٨:٢ (شوارتز ٤٠٢ FF) .

المرأة المباركة مثل رياضية شجاعة تشعر بقوتها تتجدّد وتعود إليها باعترافها بإيمانها، ووجدت العزاء والهدوء ونوعاً من الراحة العلاجية من آلامها في هذه الكلمات :"أنا مسيحية ولا يوجد أي نوع من الشر يحدث بيننا" (عديد من المسيحيين كانوا يتعرضون للتعذيب علانية حتي الموت، وعندئذ أخذت بلاندين الي الساحة لقتالها الأول).

علّقت بلاندين في خازوق في ذلك اليوم وتركت فريسة للوحوش التي أطلقت عليها، وبرؤيتها مُعلّقة كما كانت علي صليب، وسماعها تصلّي بصوت مرتفع وجد رفيقاها العزاء والقوة، وفي غمار معاناتهما كانت عيونهما مثبّتة علي أختهما ، ناظرين إلي ذلك الذي صُلب من أجلهما: المسيح . كانا ينظران إلي من عاني حتي الموت علي صليب حتي يؤكد لمن يؤمنون به أن كل من يعاني لمجد المسيح يدخل في شركة مع الله الحي إلي الأبد. لم يمس بلاندين أي من تلك الوحوش في ذلك اليوم، فأخذت من الخازوق واقتيدت للعودة إلي السجن لتبقي به حتي قتال آخر، وبنصرتها بعد عدة محاولات كان عليها أن ترجع عقاب الحية الغادرة، فأصبحت رسالة حية لإخوتها، كانت صغيرة وضعيفة ومحتقرة، لكنها كانت في حماية وكأن درعاً يحيط بها المسيح بذاته العظيم القوي الذي لا يقهر يدافع عنها، وفي كثير من المواجهات مع الشيطان كانت هي الغالبة وفي نهاية المعركة منحت تاج الخلود .

(بعد قتل كل رفاقها اقتيدت بلاندين لتكون آخر الشهداء).

بقيت بلاندين المباركة آخر الكل، كانت كأم وجد قلبها الكبير الطريق لمساندة أطفالها بكلماتها ولتشجيعهم على السير قدماً إلي الأمام في نصرة إلي الله، محتملة كل الآلام التي تعرض لها أولادها، ممتلئة فرحاً وبهجة، وهي تقترب نحو النهاية كانت تسرع لتلحق بأولئك الذين سبقوها وكأنها كانت تستعد لمأدبة زواج، وليس لمواجهة وحوش شرسة، حيث استخدمت السياط والحيوانات والشوّايات في تتابع، ثم في النهاية

حوصرت في شبكة لتلقي أمام ثور متوحش الذي أخذ يدفعها في الهواء بشكل متكرر، حتي فقدت وعيها تماماً بما يجري لها ، لكنها كانت بهذا التصميم علي البركات التي كانت ترجوها بإيمان، وكانت مأخوذة بهذه القوة بارتباطها بالمسيح ، وفي النهاية قدّمت هي الأخري قرباناً كشهيدة للمسيح، حيث اعترف الوثنيون أنفسهم أنهم لم يروا مطلقاً امرأة تعاني كل هذه الألام وتتحمل كل هذه العذابات .

الفصل السادس

الصـلاة الرّبانيـــة

طوال تاريخ المسيحية كان القديسون والباحثون يحاولون كشف المعني العميق للصلاة التي علّمها الرب يسوع المسيح لأتباعه، وظلت طلبات الصلاة الرّبانية محل استكشاف وبحث للوصول إلي معني يردد أصداء اهتمامات جيل جديد واحتياجاته، ويستمر المؤمنون علي أمل العثور في كلمات الوحي علي نور وقوة، لكى يحيوا حياة الإنجيل في إخلاص للماضي وابتكار للمستقبل.

في المختارات التالية، وقع الاختيار علي خمسة تعليقات علي نفس الطلبات: "أبانا الذي في السموات" "لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك علي الأرض" "ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير" كما جاءت بالصلاة التي علّمها يسوع لتلاميذه ، وبمقارنة هذه التعليقات الخمسة للصلاة الربانية من عصر آباء الكنيسة يمكن لنا اكتشاف علامات التطور في تفسير الكتاب المقدس باهتمام عقائدي وكهنوتي، فأمامنا بهذه النصوص نموذجاً للأصداء المعاصرة علي هذه الصلاة المسيحية الأساسية .

١ - ترتليـــانوس Tertullian

بين سنتي ٢٠٠م و ٢٠٦م كتب ترتليانوس (أول لاهوتي غربي)- كما يسميه كايري- بحثاً عن الصلاة (De oratione) وهو عمل يبدأ بشرح مفصّل لكل طلبة

بالصلاة الربانية، ويعكس هذا البحث الذي كتب في الفترة الأولي التالية علي مناقشة ترتليانوس من الوثنية إلي المسيحية بعضاً من أفضل التعاليم الروحية لتراث تركه لنا هذا المؤلف المتقد العواطف والمبدع بشكل زائد.

هناك عدة نقاط لابد من ملاحظتها عن معالجة ترتليانوس لطلبة "لتكن مشيئتك" ، حيث تأتي هذه الفقرة بنص ترتليانوس بعد عبارة "ليتقدس اسمك" مباشرة إذ لا يوافق الباحثون علي السبب وراء ذلك، ولربما كان ترتليانوس معتاداً علي استخدا نص للصلاة كان ينتشر بشمال أفريقيا في ذلك الوقت، ومن الجائز أن يكون قد اتبع م كان يراه تتابعاً أكثر منطقية في العبارات .

نلاحظ ثانياً وجود عبارات معكوسة عن ما نعرفه اليوم ، حيث يضع ترتليان "في السماء" قبل "علي الأرض" ، وهنا أيضا لم يجد الباحثون شرحاً استنتاجياً لذلك.

من ناحية أخري يشير ترتليان إلي فهم حرفي ممكن ("مباشر") للطلبة، وهي إشارة غريبة، خصوصاً وأن الباحثين الكتابيين المعاصرين ينظرون عادة إلي ترتليان علي أنه "مفسر واع" ، علاوة علي أن الطريقة الرمزية أو المجازية لتفسير الكتاب المقدس تم التوصل إليها بالإسكندرية، وليس في شمال أفريقيا (قرطاجة) حيث كان يعيش ترتليانوس. مرة أخري نقابل التعارض الظاهري عند هذا الكاتب، بل ربما يكون أكثر الكُتّاب الذين يظهرون التناقض الظاهري في كتاباتهم في العصر المسيحي السابق علي المجمع المسكوني الذي عقد في نيقية.

وأخيراً تذكرنا علاقة معني هذه الطلبة بالذات بمعاناة المسيح كما يوضحها ترتليانوس بالأهمية التي يعزيها إلي هذه الأبعاد للحياة المسيحية، وحيث أنه قد جذب إلي المسيحية بهذا التحمّل الصبور للشهداء الذين تعرّضوا للاضطهاد والتعذيب، فإنه

في آخر الأمر أحس بالاقتناع بأن يترك الكنيسة التي حل فيها الانحلال في نظره مكان الزهد والنسك، ومن الخير أنه لم توجد أي من هذه المبالغات اللاحقة في بحثه عن الصلاة.

١ – [٢٥] تبدأ الصلاة باعتراف بالإيمان بالله ، وبفعل يحمل استحقاقاً للإيمان عندما نقول "أبانا الذي في السموات" لأن هذا الأسلوب من التوجه لا يأتي إلا عندما نعبد الله ونؤكد إيماننا به، فهي عبارة مخصصة "لأولئك الذين يؤمنون بالله، ويؤمنون أنه أعطانا القدرة أن ندعي أولاده" ، فلقد تحدث إلينا الرب كثيراً عن الله كآب، والواقع أنه علمنا ألا ندعو أحداً علي الأرض "أبا" إلا واحد هو الآب السماوي، وبذلك فإننا عندما نصلي بهذه الطريقة نكون أيضاً قد أطعنا فكر الرب، فما أسعد هؤلاء الذين يعرفون أباهم، فالروح يدعو السماء والأرض شهوداً عندما يحدث الظلم علي إسرائيل. "لقد أنجبت أبناءً لم يعرفونني"، بل أننا عندما نقول "أبانا" نضيف صفة جديدة إلي اسم الله أيضاً، وهو اسم يعبر عن الحب البنوي كما يعبر عن القوة، أيضا عندما نتضرع إلي الآب فإننا نتوجه أيضا إلى الابن، لأن المسيح قال "أنا والآب واحد" . وفي نفس الوقت فإننا لا نهمل الأم التي هي الكنيسة، لأن الأم تظهر في الابن وفي الآب، فكلمة "الآب" وكلمة "الابن" تعتمدان عليها من ناحية المعني، وبذلك فإننا بهذه العبارة أو الكلمة الواحدة نبجّل الله مع خاصته، ونطيع فكره وفي نفس الوقت نلوم أولئك الذين لم يتبينوا من هو أباهم.

٤ – بعد هذا نضيف "لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك علي الأرض". ونحن لا نصليٰ بهذه العبارة ، لأن هناك من يمكنه بالفعل أن يمنع تنفيذ مشيئة الله، أو كأن صلواتنا يمكن أن تؤكد تحقيق هذه المشيئة، بل نصلّي لكي تتم مشيئة الله في كل

(٢٥) النص اللاتيني CCL 1 .

إنسان. هذا وعن طريق التفسير الرمزي نعلم أننا نتكّون من جسد وروح، هما السماء والأرض، علي أننا إن أخذنا هذه الكلمات كما هي بشكل مباشر يبقي معني هذه الطلبة كما هو : أن تتم مشيئة الله فينا علي الأرض، حتي بطبيعة الحال تتم أيضاً بنفس الطريقة في السماء . إذ ماذا تفعل مشيئة الله أكثر من أن تجعلنا نسير الطريق الذي علمنا إياه؟ لذلك فإننا نطلب أن تعطي لنا مادة مشيئته ومواردها حتي نخلص في السماء وكذلك علي الأرض ، لأن ملء مشيئته هي خلاص أولئك الأشخاص الذين تبنّاهم كأولاده .

لقد تحققت مشيئة الله بالرب في عظاته وفي أعماله وفي آلامه، فطالما هو نفسه يعترف أنه قد جاء لا ليفعل مشيئته لكن مشيئة الآب، فبالتأكيد يكون ما فعله هو مشيئة الآب، والآن نحن مدعوون لنأخذ أعماله نموذجاً وقدوة حتي يمكننا نحن أيضاً أن نعظ ونعمل ونتألم حتي إلي الموت وإذا كان بإمكاننا أن ننجز هذه الأشياء فلابد أن تتم مشيئة الله.

أيضاً عندما نقول "لتكن مشيئتك" فإننا نطلب الخير لأنفسنا لأنه لا يوجد شر في إرادة الله، حتي وإن فُرض بعض العقاب الذي يخالف رغبة الإنسان علي شخص يستحقه.

بصلاتنا بهذه الطريقة نعد أنفسنا أيضاً لنتألم بصبر، فلقد اختار الرب أن يكشف عن ضعف الجسد عندما شعر بملء حمل آلامه، حتي أنه في تلك اللحظة كان يصلي : "يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس" لكنه أضاف بعد أن فكر في قلبه "ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك" ، رغم أنه كان هو نفسه مشيئة الآب وقدرته، إلا أنه خضع تماماً لمشيئة الآب حتي يبين بوضوح أن علينا نحن أيضاً أن نتحمل بصبر .

٨ - حتي تكون هذه الصلاة المختصرة كاملة في ترتيبها، أضاف المسيح أن علينا أن نصلّي ليس فقط من أجل غفران خطايانا، ولكن علينا أن نتجنّب هذه الخطايا تماماً "ولا تدخلنا في تجربة" : بمعني لا تدع الشيطان يضللنا، حتي نظن أن الرب يبدو وكأنه الشخص الذي يجرّبنا، وكأنه لا يعي إيمان أي فرد أو أنه حتي يميل إلي إقلاقه ! فهذا النوع من الضعف والحقد يخص الشيطان، حتي في حالة إبراهيم الذي أمره الله بالتضحية بابنه ، ليس ليمتحن إيمانه ولكن ليثبته، وفي إبراهيم يضع الله لنا مثالاً لهذه الفكرة فيعلّمنا بها في الوقت المناسب أنه لا يجب علينا أن نحب حتي أقرب وأعز الأشخاص لدينا أكثر من الله، المسيح نفسه جُرب من الشيطان وكشف لنا عن هذا السيد الماكر للتجارب، وهو يؤكد هذه الطلبة في وقت لاحق عندما يقول "صلّوا لكي لا تقعوا في تجربة" ولكنهم ظلوا تحت التجربة تاركين الرب ووقعوا في سبات عميق بدلاً من الاستمرار في الصلاة، بهذا تُحقق العبارة الأخيرة من هذه الطلبة توازن الفقرة الأولي وتشير إلي معناها : "لا تدخلنا في تجربة"، "لكن نجنا من الشرير" .

٢ - أوريجانوس Origen

في الجزء الثاني من بحثه "عن الصلاة" يقدم أوريجانوس تعليقه علي الصلاة الربانية، فيوضح في شرحه للمطلب الثالث باختصار أن لوقا حذف هذه الفقرة التي تلي عبارة "ليأت ملكوتك" التي وردت بنص إنجيل متّي، وهو لذلك يفضل اتباع متّي .

يظهر تعليق أوريجانوس هذا المفهوم الروحي للكتاب المقدس الذي يميز مدرسة الإسكندرية بشكل خاص ، فكل كلمة وكل فقرة تخضع للفحص في النص حتي يمكن اكتشاف "النفس" و "الروح".

إن أوريجانوس "كمؤسس للعلوم الكتابية" في التراث المسيحي لا يطور فقط المنهج التفسيري Exegetieal methodology لشرح الكتاب المقدس ولكنه يقدم أيضاً لاهوتاً لكلمة الله المكتوبة وتعليمه اللاهوتي يؤسس على فهم المعني الثلاثي للإنجيل : (١) المعنى المادي Somatic يتأسس علي النص ذاته ببياناته الحرفية والتاريخية المكونة "للمتن" الكتاب المقدس ، (٢) المعني المعنوي (العقلي والنفسي Psychic) المكون "للنفس" ، (٣) المعني الروحي (روحي - هوائي pneumatic) المكون "للروح" وهو المعني الذي يوفر مدلولا أعمق ويظهر الوعد بالبركات السماوية الآتية .

ليست هناك صعوبة لتبيان الاختلافات بين النص التالي ونص ترتليانوس، فبالإضافة الي الطريقة التفسيرية البارزة هناك علامات علي التطور في الكريستولوجيا (التعليل اللاهوتي لشخص المسيح وعمله)مع أصداء للاهوت أوريجانوس (كلمة الله Logos)، وهذا النص مثل التعليقات الصادرة من شمال أفريقيا يتحدث إلينا عن محاولات جادة لإجابة احتياجات مجتمع مسيحي معين، هذا المجتمع الذي يتميز هذه المرة بالتنوع الموجودة في المدن العظيمة وحضارتها .

الفصل ٢٢ : [٢٥] **١** - "أبانا الذي في السماوات" ، يجدر بنا حقاً أن نتفحص بإمعان في العهد القديم كما يسمي، لنري إن كان يمكننا أن نجد أية صلاة يقدمها شخص إلي الله "الآب" ، وعلي الرغم من أننا تفحصنا هذا النص الكتابي بعناية بقدر الإمكان إلا أننا لم نجد حتي الآن مثل هذا النداء ، ولكن بالطبع هذا لا يعني أن الله لم يُشر إليه "كآب" ، بل ليس لنا أن نلمح أن أولئك الذين كانوا يؤمنون بالله لم يكونوا معروفين "كأولاد الله" ، ولكن علينا أن نجد في أية صلاة تعبيراً بهذه الثقة معلن من قبل المخلص، موجّه إلي الله "كآب" ، علماً بأنه يمكننا أن نجد شواهد عديدة

(٢٦) النص : كوتشو Koetochau ed. GCS

بالنص حيث يدعي الله "أب" ، ويدعي أولئك الذين يتبعون كلمة الله "أولاد" . فمثلاً نقرأ في سفر التثنية : "وإن نسيت الرب إلهك وذهبت وراء آلهة أخري وعبدتها وسجدت لها" .. "أنتم أولاد للرب إلهكم" (تث ١:٤) ، ثم "أولاد غير مخلصين" . ونجد أيضاً في إشعياء "ربّيت بنين ونشأتهم أما هم فعصوا علي"، وفي ملاخي :"الابن يكرم أباه والعبد يكرم سيده. فإن كنت أنا أباً فأين كرامتي، وإن كنت سيداً فأين هيبتي؟.."

٣ – إذا كان لنا أن ندرك المقصود من وراء المكتوب في إنجيل لوقا "متي صليتم فقولوا أبانا" لزم علينا أن نحجم عن استخدام هذا الاسم ما لم نكن أبناء حقيقيين حتي لا تضاف عدم التقوي إلي خطايانا الكثيرة، وأنا هنا أحاول أن أعبّر عما كتبه بولس الرسول في رسالته الأولي إلي أهل كورنثوس "ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس" ، أيضاً "ليس أحد وهو يتكلم بروح الله يقول يسوع أناثيما" ، إذن "الروح القدس" و "روح الله" يعنيان شيئاً واحداً للرسول بولس، ولكن معني عبارة "يقول يسوع رب بالروح القدس" يصبح غير واضح تماماً ، فالمنافقون مثلاً، والكثيرون ممن يؤمنون بالهرطقة، بل وفي بعض الأوقات الأرواح الشريرة التي تهزمها قوة هذا الاسم تتضرع بهذه الكلمات، ولا يجرؤ أحد أن يثبت أياً من هؤلاء الأشخاص هو الذي يقول "الرب يسوع" بالروح القدس. لذلك لا يمكن تحديد من يقولون "الرب يسوع" ، فأولئك الذين يخدمون كلمة الله ، وأولئك الذين لا يدعون رباً بكل ما يفعلون إلا يسوع، هم فقط الذين يقولون "يسوع رب" بمجرد وجودهم، فإذا كان أولئك هم الذين يستطيعون أن يقولوا "يسوع رب" إذن فمن الممكن أيضاً أن كل من يخطئ فإنه يجدّف علي كلمة الله بخطيته، فإن أفعاله الشريرة تصرخ "يسوع أناثيما"، فطالما أن نوعاً من البشر يقول "يسوع رب" ونوعاً آخر يقول "يسوع أنا ثيما"، لذلك فإن "المولود من الله" الذي يتجنّب الخطية يشارك في ذرّية الله، مما يحفظه من كل الخطايا، وأعمال هذا

الشخص تعلن "أبانا الذي في السموات" وبذلك فإن الروح نفسه يشهد لأرواحهم أنهم أولاد الله ورثة لله وورثة مشاركين مع المسيح. وهم إذ يتألمون معه فإن لهم أيضا أن يكون لهم رجاء الحق بأنهم يُمَجدّون معه، لأنه هكذا وهم يقولون "أبانا" بكل قلوبهم وليس فقط بنصف قلوبهم فإن قلوبهم، تتحد بأعمالهم ، القلب الذي هو مصدر وأصل كل الأعمال لابد أن يثق بالحق بينما أفواههم تعترف بتناسق بالخلاص.

الفصل٢٦ : ١ – "لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك علي الأرض" يحذف لوقا هذه الطلبة بعد "ليأت ملكوتك" ويكتب "خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم". والآن دعدونا ندرس الكلمات التي جاءت بعد ذلك في الترتيب، والتي لا نجدها إلا في إنجيل متّي، فإننا نحن الذين نصلّي، ونحن لا نزال علي الأرض لابد أن نعلم أن مشيئة الله سارية في السماء في أولئك الذين هم مع الله، إذن دعونا نصلّي أن تكون مشيئة الله علي الأرض في كل الأشياء تماماً، مثلما هي كائنة في كل من هم في السماء، هذه المشيئة تنفذ إذا لم نفعل شيئاً يتعارض مع مشيئة الله، إذ لو طبقنا مشيئة الله علي الأرض كما هي في السماء سنصبح عندئذ مثل هؤلاء الذين في السماء، أي أننا نحن أيضاً سنحمل صورة أجساد سماوية، ونصبح ورثة للملكوت السماوات، وأما من يأتون بعدنا سيصلّون وهم لا يزالوا علي الأرض أن يكونوا مثلنا فعندئذ نكون نحن في السماء.

٣ – ربما يتساءل الإنسان عند قراءته هذه الكلمات : "لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك علي الأرض" كيف يمكن أن تكون مشيئة الله في السماء حيث توجد قوي فوق بشرية للشر تتطلب أن يظهر سيف الله حتي في السماء؟ ، ألسنا نصلي أن تكون مشيئة الله علي الأرض كما في السماء غير واعين أن أرواح الشر باقية علي الأرض حيث هبطوا من السماء ؟ فهناك الكثيرون علي الأرض أصبحوا أشراراً لأن القوي

الكونية التي من فوق تتملكهم، علي أننا إذا تفهمنا السماء بمعني مجازي ، نري أنها تدل علي المسيح، وبنفس الطريقة ترمز الأرض إلي الكنيسة (من يستحق أن يكون عرش الآب سوي المسيح؟ ماذا يمكن أن يكون سنداً لقدميّ الله سوي الكنيسة؟) بذلك تحل مشاكلنا إذ نقول : إن علي كل عضو بالكنيسة أن يصلي وأن يفعل مشيئة الآب كما فعل المسيح، فإنه هو الذي أتي ليفعل مشيئة الآب ، وقد حققها بإتقان. وإذا كنا متحدين به نصبح روحاً واحداً فيه، وبهذه الطريقة نفعل مشيئة الله، ومن ثم تتحقق هذه المشيئة علي الأرض كما في السماء .

٥ - ليس بسبب المكان الذي يعيش فيه الإنسان، ولكن بسبب وضعه يستطيع وهو ما يزال علي الأرض أن يحصل علي الجنسية في السماء، وأن يصنع له كنوزاً بها ، إذ لو كان قلب الإنسان في السماء، وكان يحمل صورة إنسان السماء فإنه لن يبغي ملكاً لهذه الأرض ولا للعالم السفلي، بل يكون ملكاً للسماء وللعالم السماوي الذي يفوق هذا العالم بكثير، وبنفس الطريقة تحتفظ أرواح الشر التي ما تزال تسكن في الممالك السماوية بجنسيتها الأرضية، وهي تتآمر لتضع الشراك حولنا ولتحصرنا في المعركة، وهي تضع كنوزاً علي الأرض، وتحمل صورة سكان هذا العالم ، أولي عمل يديّ الله والتي يحتقرها الملائكة، وهي لا تنتمي إلي السماء وليس بيتها في السماء ، لذلك فهي شريرة للغاية، ومن ثم فإننا عندما نصلّي "لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك علي الأرض" يجب علينا أن لا نفكر في هذه الأرواح الشريرة، بل علينا أن نتذكر أنها عن طريق الكبرياء قد هبطت مع ذلك الذي سقط مثل البرق من السماء.

٦ - ربما أن مخلصنا لا يعطي لنا أمراً قاطعاً عندما يطلب منا أن نصلّي لتكون مشيئة الآب كما في السماء كذلك علي الأرض، بأن نصلي لأن يصبح أولئك الذين علي الأرض بأجسادهم مثل من يعيشون في السماء ، فإنه يريد أن تنمو كل الكائنات الحية

علي الأرض، حتي الفضائل الدنيا منها، لتصبح مثل الكائنات المتميزة عليها والتي تحمل جنسية السماويات، فكل خاطئ أينما كان هو أرضي، فإذا سقط ليتوب فإنه بلا شك سيصبح ذلك الذي يشبهه أصلاً، أما ذلك الذي يفعل مشيئة الله محجماً عن معصية قوانين فدائه الروحية فإنه يكون سماوياً أصلاً.

فإذا بقينا عندئذ أرضيين بسبب خطايانا، فليس لنا إلا أن نصلّي أن تحتوينا مشيئة الله، وتطهرنا بنفس الطريقة التي تمت مع أولئك الذين أصبحوا سماويين قبلنا، وإذ أصبحنا في أعين الله غير أرضيين بل الآن سماويين ولسنا أرضيين فلنصلي أن تكون مشيئة الله علي الأرض وسط تلك الكائنات الدنيا كما هي في السماء. وبذلك يمكن أن تتحول الأرض إلي جنة كما كانت، وبذلك يأتي يوم لا يكون هناك وجود لأي أرض، بل يتحول الكل إلي فردوس.

الفصل ٢٩ : ١ - "ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير" - مع ملاحظة أن لوقا لم يشمل هذه الكلمات "لكن نجنا من الشرير" في النص الخاص به . وطالما أن المخلّص لا يطلب منا المستحيل ، فإنني أري أن علينا أن نتفحص لماذا وجّهنا لنصلّي ألا ندخل في تجربة، برغم حقيقة أن حياتنا بكاملها علي الأرض هي "تجربة". فعلي الأرض نحن محاطون من كل جانب بالجسد الذي يحارب ضد الروح، وأفكاره عداوة لله، ولا يمكن بأي حال إخضاعه لناموس الله، ولهذا فإننا نعيش في تجربة.

٥ - الشخص الذي لا يفحص بعناية هدف الرب من هذه الوصية يمكن أن يظن أن ما علّمنا إياه فيما يتعلق بالصلاة يتعارض مع كلمات المزمور السادس والعشرين : "جربني يا رب وامتحني . صف كليتي وقلبي"، فهل يمكن لأي انسان أن يتخيل أننا خارج التجارب التي نعيها منذ وصولنا إلي مقدرة الإدراك ؟ هل يمكن لأحدنا أن يتأكد يوماً أنه ليس لنا أن نناضل ضد الخطية؟ فإذا كنا فقراء فإننا نرتعد حتي لا نسرق

وننكر اسم الله . وإذا كنا أغنيـاء ألا نشعر بعدم الأمان؟ قد نصل إلي حالة الامتلاء بالأكاذيب، وفي كبريائنا نعتقد "من يمكنه أن يرانا ؟" . حتي بولس الرسول رغم غناه في قوة التعبير وفي كل المعرفة لم يتحرر من خطر خطية تمجيد ذاته. كان يحتاج إلي لدغة إبليس تلسعه حتي لا يتعاظم، فإذا كان أي منا وهو علي دراية بقداستنا يرتفع فوق كل الشـرور، فليـقـرأ عن حـزقـيـال Ezechias الذي يذكـر الكتـاب الثـاني لباراليبومينون Paralipomenon أنه سقط بسبب شموخ قلبه .

٩ – نري بذلك أن حياة الإنسان بكاملها علي الأرض هي "تجربة" ولهذا علينا أن نصلي لكي لا ندخل في تجربة ، نحن لا نصلي لكي لا نجرب طالما أن ذلك مستحيل لأولئك الذين لا يزالون "علي الأرض" ، بل نصلي ألا نستسلم للتجربة، فإني أعتقد أن الشخص الذي يستسلم للتجربة يقع في شباكها، ومخلّصنا يدخل بهذه الشراك من أجل أولئك الذين وقعوا بها من قبل، فهو يتطلع من كوي هذه الشراك كما تقرأ في نشيد الأنشاد ، ويتحدث إلي من وقع بها ، إلي من دخل في تجربة، هو يتحدث إليهم وكأنه يتحدث إلي العروس قائلاً : "قومي يا حبيبتي يا جميلتي وتعالي" .

نظراً لأني أريد أن أبين أن أي وقت هو وقت تجـربة لنا، فـإني أريد أن أضـيف الفكرة التالية، وهي أنه حتي ذلك الشخص الذي "يلهج في ناموس الله ليلاً ونهاراً" محاولاً تنفيذ كلمات "فم الحق يعطي حكمة" حتى ذلك الشخص لا يخلو من التجربة.

الفصل ٣٠ : يبدو لي أنه عندما كتب لوقا "لا تدخلنا في تجربة" أنه كان يعني ضمناً القول "أنقذنا من الشر" ، فلم يكن من غير المحتمل أن يتحدث الرب بأسلوب بليغ بارع الإيجاز إلي التلميذ الذي أصبح بالفعل متقدماً في المعرفة، ولكن بمزيد من التفصيل إلي الجمهور الذي كان في حاجة إلي تعاليم أشمل، والآن يا رب "أنقذنا من الشر" ليس عندما يتوقف عدو الخير عن مهاجمتنا بأية أساليب مخادعة لديه، ولكن

بالأكثر عندما نواجه بشجاعة ما يأتي علينا، وبذلك نتغلّب عليه . هذا هو التفسير الذي تقدمه العبارة "كثيرة هي بلايا الصديق ولكن من جميعها ينجيه الرب"، فالله ينقذنا من البلايا ليس عندما تتوقف عن التثقيل علينا، لأن الرسول بولس يقول إننا دائماً في ضيق، مكتئبين في كل شئ، بل أننا نحصل علي النجاة -وإن كنا نجرب- بمساعدة الله، أي أننا لا نتضايق، وحسب التعبير العبري : أن "نكتئب" تعني أننا "نتحمل موقفاً حرجاً يحدث علي خلاف إرادة الإنسان"، أما أن"نتضايق" فإنها علي العكس تشير إلي حالة تنشأ عن الإرادة، بمعني وصول الإنسان إلي الحد الذي يغلبه الضيق فيستسلم له ، فالرسول بولس علي حق في قوله : إننا نكتئب في كل شئ ولكننا لا نتضايق ، ونفس الفكرة التي تبرز في المزامير "في الضيق رحبت لي"، إذ عن طريق وجود كلمة الله ومعونتها التي تشجعنا وتخلصنا يعطي الله لعقولنا أن تستريح في سعادة وتقوي في شجاعة وقت التجربة، وهذه هي الفكرة وراء عبارة "رحبت لي" .

٣ – كبريانوس من قرطاجة Cyprian of Carthage

في عام ٢٥٢ ميلادية وضع (كبريانوس) أسقف قرطاجة بحثاً عن الصلاة الرّبانية، ونلاحظ بهذا البحث كما نلاحظ بالأبحاث الأخري التي كتبها شبهاً صارخاً لأعمال ترتليانوس السابقة، والواقع أن هذا الأسقف كان يطلب من سكرتيرته كل يوم أن تحضر له أحد الأعمال الرئيسية حتي يتعلم منها ويتثقف بها، علي أن كبريانوس كان أكثر من مقلد لترتليانوس الذي لم يتفق مع تعاليمه في كثير من النقاط، وتعليقه علي الصلاة الربانية أطول من التعليق السابق للاهوتي الأفريقي، كما قدم كبريانوس أيضاً في بحثه ملاحظة بطريقة السؤال والجواب، مع شرح لطقوس العماد، وعلي عكس نص أوريجانوس نجد في عمل كبريانوس أسلوباً مباشراً أكثر، ونلاحظ غياب القراءة

السكندرية المجازية لنصوص الكتاب المقدس.

الفصل ٨ : [٢٧] فوق كل شئ، لم يكن الرب الذي هو معلم السلام وسيد الوحدة يرغب منا أن نصلي على انفراد بصورة شخصية كما يصلي الإنسان لنفسه وحيداً، فنحن لا نقول "يا أبي الذي في السموات" ولا نصلي قائلين "خبزي كفافي أعطني"، كما لا يطلب الشخص أن تغفر له خطاياه لوحده، ولا أن يدخل في تجربة، فلا أحد يطلب النجاة من الشر لنفسه فقط، الواقع أن صلاتنا عامة وترفع مشتركة . وعندما نصلّي فليست صلاتنا لشخص واحد بل لكل الناس، لأننا جميعاً واحد في الرب الذي هو معلم الصلاة والسلام، فهو يريد كل واحد منّا أن يصلي للكل تماماً كما حمل هو نفسه الكل معاً في واحد . وقد رأي الفتية الثلاثة ذلك القانون في أتون النار، كانوا متحدين معاً لشخص واحد في صلاتهم، كانوا في تجانس كل منهم مع الآخر في الروح، وتؤكد النصوص السماوية كيف كانوا يصلّون بإيمان مقدمين لنا مثالاً نحتزي به في صلواتنا حتي نصبح مثلهم" هؤلاء الثلاثة وكأنهم بفم واحد كانوا يرنمون ويباركون الله"، نعم كانوا يتكلمون وكأنهم بفم واحد بالرغم من أن المسيح لم يكن قد علّمهم الصلاة بعد، وكانت الكلمات التي قدموها في الصلاة مثمرة وفعالة لأنها صلاة مملوءة بالسلام، صلاة بسيطة وروحانية، صلاة فيها تضرع إلي الله، والواقع أن الرسل والتلاميذ كانوا يصلّون بهذه الطريقة بعد صعود الرب "هؤلاء كلهم كانوا يواظبون بنفس واحدة علي الصلاة والطلبة مع النساء ومريم أم يسوع ومع إخوته " ، كانوا يواظبون على الصلاة بنفس واحدة ، بثباتهم واتحادهم في الصلاة كانوا يعلنون الله الذي يجعل أولئك الذين لهم نفس واحدة يعيشون معاً في بيت واحد، يقبلهم في الأبدية فلا يوجد في البيت السماوي إلا أولئك الذين لهم نفس واحدة في الصلاة .

---

(٢٧) النص في CSEL3 الناشر Von Hartel 3

الفصل ١٤ : نقول أيضاً " لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك علي الأرض"

نحن لا نصلي حتي يفعل الله ما يشاء ، ولكن حتي تكون لدينا المقدرة لنفعل مشيئته، فمن ذا الذي يمكنه حقاً أن يمنع الله من فعل مشيئته؟ لكن إبليس يمنع عقولنا وأفعالنا عن إطاعة الله في كل شئ. لذلك فنحن نصلي ونطلب بإلحاح أن تتم مشيئة الله فينا، إذ لو تمت مشيئة الله فينا فإن هذا يعني أن لنا حاجة لهذه المشيئة، بمعني أننا نحتاج إلي حمايته ومعونته، فليس أحدنا قوياً بدرجة كافية في ذاته، لكن لنا الوعد بالسلامة والأمان في كرم الرب ورحمته.

الرب أيضاً أوضح ضعف البشرية التي كان يحملها في ناسوته ، عندما طلب في صلاته الأخيرة قائلاً "يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكاس" ثم لكي يجعل تلاميذه يتعلمون أن يفعلوا مشيئة الله أكثر من مشيئتهم قدم لهم مثالاً بكلماته "ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك" .

في مكان آخر نقرأ أن الرب قال "لأني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني" ، فالآن إذا كان الابن قد صار مطيعاً ليفعل مشيئة أبيه، أليس بالأولي أن يتمثل خدامه للطاعة بشكل أكبر لإتمام مشيئة الرب؟ ويوحنا يحثنا في رسالته أن نفعل مشيئة الله، ويوجهنا بقوله" لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم. إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب. لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ليس من الآب بل من العالم. والعالم يمضي وشهوته وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلي الأبد" (١يو ٢:١٥ - ١٧) . إذن فمن يرغب منا أن يثبت إلي الأبد عليه أن يفعل مشيئة الله الأبدي .

الفصل ٢٥ : من المهم أيضاً أن يحثنا الرب لكي نصلي بهذه الطريقة "ولا تدخلنا في تجربة" ضمن هذه الطلبة، نتعلم أن عدو الخير ليس له قوة ضدنا ، ما لم يسمح له الله بذلك. ويتضح لنا ذلك لكي ما نسكب كل توقيرنا وتكريسنا وطاعتنا نحو الله. ففي التجربة لا يحدث شر لنا ما لم يسمح الله بذلك .

الفصل ٢٦ : الواقع أن القوة تعمل معنا بطريقتين ، فهي إما أن تُعطي لعقابنا عندما نخطئ، أو للمجد عندما تباركنا، ونري ذلك في حالة أيوب عندما قال الله هذه الكلمات: "ها هو في يدك وإنما إحفظ نفسه" (أي٢:٦) ، وفي الإنجيل عند محاكمة الرب يقول "لم يكن لك عليَّ سلطان البتة لو لم تكن قد أعطيت من فوق" (يو١٩:١١)، أيضاً عندما نصلي لكي لا ندخل في تجربة فإننا نذكر ضعفنا وقصورنا حتي لا يمجد أحد ذاته في عجرفة أو يمجد آخر ذاته بكبرياء وعناد مدعياً لنفسه شيئاً، أو يدعي ثالث لنفسه مجد اعتراف شهيد وآلامه. لقد علمنا الرب الاتضاع بقوله "اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة. أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف" (مر١٤:٣٨). فعندما نبدأ باعتراف يتسم بالاتضاع والخضوع، ونعطي كل المجد لله، فإن أية طلبة نصلي من أجلها بوقار وشكر يمكن أن تمنح لنا من قبل عطفه المحب.

الفصل ٢٧ : بعد قول هذه الأشياء تتركز الصلاة في فقرة صغيرة تصل بطلباتنا وتشفعاتنا إلي النهاية بسرعة وفي كلمات قليلة، وفي النهاية نصلي "لكن نجنا من الشرير"، بذلك تشمل كل التجارب التي يحاول العدو تسليطها علينا في هذا العالم، فيمكننا أن نجد حماية قوية ومخلصة من الشرير إذا حصلنا علي النجاة من الله، وإذا منحنا الله العون ونحن نصلي له ونتضرع إليه، إذ ونحن نقول "نجنا من الشرير" لا يوجد شئ آخر نطلبه، فبمجرد طلبنا حماية الله لنا من الشرير وحصولنا علي هذه الحماية نبقي في أمن وأمان ضد كل أعمال الشيطان وشرور العالم، من منّا يمكن أن يكون خائفاً من

٤ - إغريغوريوس النيصي Gregory of Nyssa

إغريغريوس النيصي (حوالي ٣٣٥م - ٣٩٤م) معروف بشكل شائع كأحد الآباء الكابادوكيين، وحيث كان الأخ الأصغر لباسيليوس Basil العظيم الذي من قيصرية وإغريغوريوس "الثاني" (النازيانزي) فإنه بهذه الثلاثية كثيراً ما يختفي وراء الظلال، وحتي اليوم لا يتوفر من أعماله المترجمة إلي الانجليزية إلا القليل نسبياً. علي أن أولئك الذين يعرفون إغريغوريوس يكنّون له الاحترام كلاهوتي له من المساهمات ما يضعه في مصاف عظماء كتاب عصر الآباء، كما أنه يعرف أيضًا بعقائده الروحية المتصوفة التي يمكن العثور بها علي تأثير أستاذه أوريجانوس .

يتكون بحث إغريغوريوس عن الصلاة الربانية من خمس مواعظ يتوصل فيها إلي أحد مباحثه المحببة ، ويواجه بها شرور عصره، ويحاول ككاهن متميز أن يقدم العناية الروحية التي يحتاجها شعبه، ويبدو أن إغريغوريوس النيصي لم يكل من الإعلان أن نفوسنا مصنوعة من صورة إلهية لوثتها الشرور، ولابد أن نستعيد الجمال الأصلي لهذه الصورة الإلهية فينا. وهذا يعني تعلم الصلاة بالطريقة الصحيحة، والأشياء السليمة، والصلاة الربانية هي نموذج لصلاتنا الصحيحة.

استخدم إغريغوريوس أمثلة عملية ليبسط دروسه للناس، وكثيراً ما يقترب من البيانات العلمية في عصره، ويمكننا أن نري ذلك في الموعظة الرابعة (لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك علي الأرض ، خبزنا كفافنا أعطنا اليوم) وهي الموعظة التي تبدأ باستعراض لموضوع الصحة الجسدية واستشارة أحد خبراء الطب لشفاء المرض عن طريق

استعادة "التوازن الطبيعي"، وتتطور انعكاسات إغريغوريوس عن الطلبة الثالثة في الصلاة الربانية على خلفية النظرية الطبية التي أشار إليها . (٢٨)

العظة الثانية : "متي صليتم فقولوا : "أبانا الذي في السموات" - في واحد من مزاميره يقول داود المرنم العظيم" ليت لي جناحاً كالحمامة؟" وأنا بجرأة أيضا أستخدم نفس الكلمات فأقول : "ليت لي تلك الأجنحة حتى يسبح بها فكري إلي الأعالي، التي تصورها الكلمات الرائعة لهذه الطلبة، تاركاً خلفي كل ما بالأرض، فأتقدم وأتحرك عبر الهواء الوسيط وأبلغ جمال الفضاء السماوي، وأصل إلي النجوم وأتأمل نظامها وتنظيمها، بل حتي لا أتوقف عندها ، ولكن أتخطاها وأترك كل شئ يخضع للحركة ويتعرض للتغيير علي أنه شئ غريب، وأخيراً أتفحص هذه الطبيعة الثابتة وأرقب تلك القوة غير المتغيرة الكائنة في وضعها الصحيح وهي ترشد كل الموجودات وتساندها، لأن الكل يعتمد علي المشيئة التي لا ينطق بها للحكمة الإلهية، وبذلك لابد أن يصل فكري وهو ينفصل عن كل ما يخضع للحركة و الانصهار والتغيير إلي الراحة في هدوء روحي دون حركة، وعندئذ أصبح مثله الكامل بلا تغيير ، ثم أصبح قادراً علي أن أتوجه إليه بهذا الاسم الحميم "أبانا".

أي روح يجب أن تتوفر في ذلك الشخص الذي ينطق بهذه الكلمة ! أية ثقة ! أي ضمير طاهر ! دعونا نفترض أن إنساناً يحاول أن يعرف الله أكثر ما يمكن، بأن يأخذ كل الأسماء التي أطلقت للتعبير عن الإله ومن ثم يصل إلي فهم لجلال الله الذي لا ينطق به ومجيد، هذا الانسان لابد أن يعرف أنه مهما كانت الطبيعة الإلهية في ذاتها فهي مطلقة الصلاح والقداسة والفرح والقوة و المجد والطهارة، هي الأبدية والخلود التام، وهي دائماً كما هي لا يعتريها تغيير، بأخذ هذه الأشياء في الاعتبار بجانب كل الأشياء

---

(٢٨) مستوحاة من ترجمة لهيلداسي. جرايف ACW ١٨وستمنستر، ماريلاند :مطبعة نيومان١٩٥٤- (النص ص٤٤، ١١١٩-١١٩٤) .

التي يمكن للفكر أن يستوعبها من الكتاب المقدس، أو عن طريق التأمل هل يجسر أي إنسان أن ينطق بهذه الكلمة ويدعو الله أبا؟ الحقيقة أنه إذا كان لدي أي إنسان شئ من التعقل فإنه بالتأكيد لا يجرؤ أن يدعو الله بهذا الاسم "أبانا" طالما لا يجد في ذاته الأشياء التي يراها في الله.

لذلك فإنه إذا كان الرب في صلاته يعلمنا أن ندعو الله أباً، فإنه يبدو أن ما يقوم به هو إعطاؤنا ناموس أرفع، فالحق لا يعلمنا أن نخدع بالقول بأن هناك شئ لا ينطبق علينا، أو أن نستخدم اسماً لا يحق لنا استخدامه، لهذا فإنه من الخطر أن نجرؤ على تقديم هذه الصلاة، وأن ندعو الله أبانا قبل أن تتطهر حياتنا.

العظة الرابعة : في أحد الأزمنة كنا نحن البشر كائنات عاقلة صحيحة، لأن تحركات أنفسنا التي تتعلق بعناصر الكون كانت متزنة بانتظام في داخلنا بكل صورة في تجانس مع الفضيلة، ثم أصبح عنصر الشهوة الجنسية مسيطراً متغلباً علي ما يقابله وهو كبح النفس تماماً كما يتغلب عدو قوي علي محارب مهزوم، ولم تعد الرغبات الجامحة للأشياء الممنوعة محل ضبط. وبهذه الطريقة تطرّق مرض الخطية العضال إلي طبيعتنا البشرية، ولهذا السبب شارك الطبيب الأوحد لأمراض نفوسنا في حياتنا حتي يشفي من كانوا مرضي، وبالتدريج يخفف من جذور المرض عن طريق معني هذه الصلاة، وبذلك يعيدنا إلي الصحة الروحية .

هكذا تصبح صحة نفوسنا تحقيقاً للمشيئة الإلهية، تماماً كما أن المرض الذي يؤدي إلي موت النفس ما هو إلا الفشل في فعل الخير الذي هو هذه المشيئة ، فنحن نقع فريسة للمرض عندما نخالف الطريقة الصحية للحياة في الفردوس، ونشبع ذواتنا بعدم الطاعة وهو عبارة عن سم يتغلب علي طبيعتنا عن طريق الشر أي أنه مرض مميت، عندئذ جاء الطبيب الأوحد ليطبق نظام العلاج، شافياً إيانا تماماً عن طريق تقديمه

لوجودنا شفاءً لهذا المرض، فيحرر من المرض أولئك الذين وقعوا فريسة له بسبب الابتعاد عن مشيئة الله، ويفعل ذلك بضمّهم ثانية إلي هذه المشيئة الإلهية، إنها كلمات هذه الصلاة التي توفر الشفاء من مرض النفس، ويصلي طبيبنا وكأن نفسه قد انخرطت في الألم : "لتكن مشيئتك" لأن مشيئة الله هي خلاصنا، فإذا كنا عندئذ نقول "لتكن مشيئتك فيّ" فإنه من الضروري قطعاً أننا في البداية ننكر كل ما يعارض هذه المشيئة معترفين باتضاع بكل الشرور التي قمنا بها .

ما نعني قوله هو أن مخالفتي لمشيئة الله في مراحل حياتي قد جلبت الشر علي نفسي، بمعني أنني كنت أخدم سيداً شريراً فأصبحت الجلاد لنفسي . ارحمني! ارفع عني شقائي، لتكن مشيئتك الآن في حياتي، تماماً كما ينقشع الظلام عندما يخترق النور كهفاً مظلماً ، كذلك فإنه عند تحقيق مشيئتك في حياتي يذوب من مشيئتي الطليقة كل شر وكل ميل نجس فتضمحل هذه الشرور وتلك الميول وتتبخر إلي العدم، وعندئذ يتغلب ضبط النفس وكبح جماحها علي الدوافع الطليقة غير المقيدة للعواطف التي تسود فكري، كما يصرع الاتضاع التشامخ ويتغلّب التواضع علي الكبرياء، كما يجرف الإحسان الذي هو أرفع أعمال الخير من نفسي كثيراً من الشرور المضادة، ففي وجود الخير و الإحسان تتبدد كل مشاعر الحقد والحسد والغضب وكل انفعالات العنف من إحساساتنا، وبوجود الخير في قلوبنا لا يوجد مكان آخر بها لنصير منافقين أو خونة، لا مكان لممارسة الإيذاء أو التفكير في الانتقام، فالخير يحقق السلام للقلب الملتاع وللعين المشتهية، وعندما يسيطر الخير علي حياتنا يهرب كل شر، وبذلك تتغلب مشيئة الله وتنتصر علي الوثنية المزدوجة للاستعباد لآلهة مزيفة والشهوة للذهب والفضة الذي يسميها النبي أوثان الأمم. لهذا كله نحن نصلي "لتكن مشيئتك" حتي تتحطم مشيئة الشرير .

ماذا تعني الفقرة التالية : "كما في السماء كذلك علي الأرض" ؟ يبدو لي أن هذه الكلمات ربما تبرز تعليماً أعمق يتعلق بمعرفة الفكر الإلهي عن طريق التأمل في الخليقة .

بمعني أن كل الخليقة العاقلة تنقسم إلي طبيعة مادية وطبيعة غير مادية، فالملائكة لهم طبيعة غير مادية، بينما نحن لنا طبيعة جسدية، والكائنات الروحية المنفصلة عن ثقل الجسد الأرضي المصمت والثقيل تسبح بالمجال الأعلي في الأضواء وفي الفراغ السماوي، فهي كائنات رشيقة وسريعة الخاطر، أما طبيعتنا فهي بالضرورة تعود إلي الحياة الأرضية لأن أجسادنا المستخرجة من تراب الأرض تتعلق بما هو أرضي، ولست أدري لماذا قضت الإرادة الإلهية أن تكون هكذا، ربما لكي تحقق الخليقة كلها الانسجام مع ذاتها حيث تكون للمنطقة السفلية نصيباً بالسماويات، وفي نفس الوقت تشارك السماء ذاتها في الأشياء الأرضية، وبذلك تحقق خليقة الإنسان لكل الكائنات مشاركة بما ينتمي إلي الآخر، لأن النفس الروحية تعيش في تناغم واضح مع الكائنات الروحية والسماوية، وإن كانت تسكن في الجسد الأرضي، وفي العودة النهائية للحياة ستؤخذ أجسادنا الأرضية إلي أعلي مع النفس في الأماكن السماوية.

وحيث أن الحياة بالمناطق العليا حياة طاهرة نقية خالية من الاستعباد لاضطراب العواطف، فإننا ونحن في الأرض محاصرين بكل أنواع البؤس والشقاء يجب أن نعلم بوضوح أن المدينة السماوية الخالية تماماً من كل شر مؤسسة بثبات علي صلاح مشيئة الله، وحيث لا يكون هناك شر يوجد بالضرورة الخير. إلا أن حياتنا التي سقطت عن كل ما هو بعيد عن الخير قد سقطت أيضاً بعيداً عن المشيئة الإلهية، لذلك تعلمنا هذه الصلاة أن حياتنا يجب أن تتطهر من الشر حتي تملك مشيئة الله علينا كما هي في السماء دون عائق وبغير تأخير ، وكأننا نصلي قائلين : تماماً كما تتحقق مشيئتك

بواسطة الممالك والإمارات، وعن طريق القوي والسلطات وكل الجيوش التي فوق الأرض بذلك الوجود الذي فيه الخير لا يعوقه الشر أو يمنعه ، كذلك ليتحقق ما هو خير فينا أيضاً، وعندما يتم نزع كل الشر منا تتحقق مشيئتك بكل الطرق في نفوسنا .

العظة الخامسة : (تختص هذه العظة بالتعليق علي عدة طلبات : "واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن للمذنبين إلينا ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير").

ما هو معني الفقرة التي تلي هذه الطلبة مباشرة "كما نغفر نحن للمذنبين إلينا؟ هذا موضوع لا يمكن المرور عليه دون دراسة، فلابد لنا أن نعرف ما نصلي من أجله، ولابد لنا أن تخرج الطلبة من داخل نفوسنا وليس فقط من شفاهنا: ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير"، أحبائي، ماذا تعني هذه الكلمات ؟ يبدو أن الرب يعطي الكثير من الأسماء المختلفة للشرير، كل منها يناسب فعلاً من أفعال الشرير، لذلك فهو الشيطان ، وهو بعلزبول، وهو الجشع وحب المال، وهو سلطان هذا العالم، وهو مهلك البشرية، هو الشرير أبو كل كذاب بالإضافة إلي أسماء أخري مشابهة، فلربما كان اسمه في هذه المناسبة هو "تجربة"، إن تسلسل الكلمات يؤكد هذه الفكرة، فبعد أن نقول "لا تدخلنا في تجربة يقول الرب إنه يلزم أن ننجو من الشرير وكأن الكلمتين تعنيان نفس الشئ، إذ لو أن الإنسان الذي لا يدخل في التجربة ينجو من الشر، أو إذا كان الشخص الذي دخل في التجربة يتعرض بالضرورة للشرير، إذن فالكلمتان : التجربة والشرير واحد ويشيران إلي نفس الشئ . من ثم ماذا تعلمنا هذه الطلبة، إن الرب يشجعنا علي الانفصال عن أشياء هذا العالم كما كان يعلم تلاميذه أن العالم كله يحبس في الخطية، لذلك إذا كان شخص يرغب في التحرر مما هو خطية سيجد أن من الضروري عليه أن ينفصل عن العالم فلا تكون للتجربة أية فرصة لتلمس نفسه ما لم يلق الاهتمام بالعالم والأشياء التي في العالم أمام الطماع كطعم في خطاف الشرير..

دعونا نقف ونرفع صلاتنا لله "لا تدخلنا في تجربة" ، لا تدخلنا في شرور هذا العالم، "لكن نجنا من الشرير " الذي يحكم هذا العالم ، حتي ننجو منه بنعمة المسيح لأن له القوة و المجد مع الآب والروح القدس الآن ودائماً وإلي أبد الآبدين آمين.

٥ – كيرلس الأورشليمي Cyrilos of Jerusalem

يعرف كيرلس أسقف أورشليم في القرن الرابع أفضل ما يكون علي أنه واضع سلسلة من المحاضرات التعليمية وصفها قسطنطين بقوله إنها "واحدة من أثمن كنوز التراث المسيحي" (Patrology III) ، تتكون الأربع وعشرون محاضرة من مقدمة (Protocatechesis) وثمانية عشر توجيهاً للإعداد للعماد وخمس محاضرات لاحقة علي العماد. يقدم كيرلس في التوجيه الخامس لحديثي العماد شرحاً للصلاة الربانية، ويقدم معني وأهمية الشفاعات التي تقدم أثناء احتفال القربان المقدس، ويبدأ مرثياته من القسم الحادي عشر، يتقدم لنا الشاهد الأول لإدخال الصلاة الربانية في طقوس القربان المقدس، والنص وإن كان مختصراً إلا أنه صارخ بالمقارنة بالمختارات المذكورة أعلاه، ففيه نجد صدياً وتصفية للمباحث الموجودة بنصوص الكُتاب السابقين .

(٢٣) ١١[٢٩] : بعد ذلك تُتلي هذه الصلاة التي ائتمنها المخلص لتلاميذه، وبضمير طاهر تتوجه إلي الله باسم الآب فتقول "أبانا الذي في السموات" ما أعظم طيبة الله، يمنح هذا العفو وذلك النصيب الكريم في النعمة إلي أولئك الذين هجروه وسقطوا في أشر الشرور أن ينادوه قائلين "أبانا" :أبانا الذي في السموات ، وهنا كلمة

(٢٩) تحويرات النص SC ١٢٦

"السموات" يمكن أن تفهم علي أنها أولئك الأشخاص الذين يحملون صورة العالم السماوي في ذواتهم ، و الذين يسكن الله فيهم ويسير معهم .

(٢٣) ١٤ : "لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك علي الأرض" ملائكة الله، الأرواح الإلهية المباركة تفعل مشيئة الله، وداود ينقل إلينا تلك الحقيقة عندما يرنّم قائلاً :"باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة الفاعلين أمره" (مز١٠٣:٢٠) ، فأنت عندما تصلي بهذه الكلمات فإنك في الواقع تقول "كما تتحقق مشيئتك يا رب في الملائكة لتكن أيضاً علي الأرض في شخصي" .

(٢٣) ١٧ : "ولا تدخلنا في تجربة". هل يعلمنا الرب أن نطلب ألا نقع مطلقاً في تجربة؟

ثم "احسبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة"؟ (يع١:٢) ، ولكن ربما الوقوع في التجربة يعني الانهزام في التجربة. إذ الواقع أن التجربة تشبه سيل جارف من المياه يصعب عبوره، وبذلك فإن بعض الأشخاص لا يغرقون في التجارب، بل يعبرون السيل كسبّاحين ممتازين دون أن يجرفهم ذلك السيل، وآخرون دون أن تكون لهم نفس المزايا ، فما أن يدخلوا إلي هذا السيل الجارف حتي ينهزمون، فمثلاً يهوذا دخل في تجربة محبة المال، ولم يستطع البدء في السباحة بل هزم جسدياً وروحياً وغرق في الأمواج، وبطرس وقع في تجربة الإنكار، ولكن ما أن احتجزته التجربة حتي تمكّن من العوم بنشاط ولم يهزم ونجا .

أنصتوا مرة أخري إلي جوقة القديسين غير المنهزمين الذين يرنمون المجد والشكر، لأنهم نجوا من التجربة : "باركوا إلهنا يا أيها الشعوب وسمّعوا صوت تسبيحه. الجاعل أنفسنا في الحياة ولم يسلم أرجلنا إلي الزلل . لأنك جربتنا يا الله محصتنا كمحص

الفضة. أدخلتنا إلي الشبكة. جعلت ضغطاً علي متوننا. ركّبت أناساً علي رؤوسنا. دخلنا في النار والماء ثم أخرجتنا إلي الخصب" (مز٦٦:٨-١٢). ألا تريٰ معي أنهم يتحدثون بثقة عن عبورهم دون أن يغرقوا في الأعماق؟ " أخرجتنا إلي الخصب" الخروج إلي مكان الخصب هو نفسه النجاة من التجربة.

١٨ : "لكن نجنا من الشرير"

إذا كانت عبارة "لا تدخلنا في تجربة" تعني عدم التعرض للتجربة بأي حال من الأحوال ما كانت هناك حاجة لأن يضيف الرب عبارة "لكن نجنا من الشرير "، الشرير هو عدو الخير، الشيطان ، الذي نطلب النجاة منه .

الفصل السابع

صلاة الشعر والموسيقى

من خلال طلبات الصلاة الربانية توصل المسيحيون إلي فكر وقلب جماعي فتعلموا أن يفكروا ويشعروا بأبعاد عامة، متشفعين بالمسيح يسوع وفيه لدي الآب لكل احتياجاتهم، وهذا البعد العام انتقل إلي تعبيرات أخري أيضاً، فقد كان إيريناوس يعلم أن كل البشر بتاريخهم وتجربتهم قد أعيد بناؤهم وإكمالهم واستيفاؤهم وتطهيرهم وإتمامهم في المسيح، وعمل الخلاص الذي قدمه بواسطته وبواسطة عمله، ويفخر أكليمنضس السكندري وأوريجانوس أنه لا يوجد أي شئ يهم الفكر البشري كان غريباً علي مدرسة الإسكندرية للتعليم اللاهوتي، والتي تسمي ديسقولية (التعاليم) Didascalia الخاصة بهما .

ليس من الغريب إذن أن تجد العقيدة واللاهوت المسيحي طريقهما في الفن والموسيقي والشعر، ويهمنا هنا بصفة خاصة الصور الأدبية التي انعكست علي مستوي يخاطب أعداداً كبيرة من الناس موضوعات وتساؤلات ناقشها علي مستو آخر، القادة اللاهوتيون العظام في ذلك العصر، كما يهمنا أيضاً الطريقة التي كان المسيحيون يصلّون بها في صورة ترانيم وشعر وإيقاع .

١ - أكليمنضس السكندري

ساهم نشر مقال عن أكليمنضس السكندري لتوماس ميرتون في عام ١٩٦٢ مع ترجمة الراهب اللاترابي (أحد رهبان دير لاتراب الممتنعين عن الكلام) لمختارات من كتاب أكليمنضس البروتريتيكوس The Protreptikos (نيويورك : الاتجاهات الحديثة) في إبراز الإنجاز الشعري "لأحد أوائل الكُتاب المسيحيين القدامي وأكثرهم قبولاً"، وأكليمنضس وهو يوناني متحول إلي المسيحية من القرن الثاني معروف كأب للإنسانية المسيحية، وأول باحث مسيحي، وهو يسبق أوريجانوس كموجّه لمدرسة الإسكندرية للتعليم اللاهوتي المعروفة باسم الديداسكاليا ، هذا والمختارات التالية مأخوذة من خاتمة أعمال أكليمنضس "المسيح المعلم أو " بايداجوجوس "Paidagogos ، إنها مجموعة من أقدم الترانيم المسيحية المسجلة باليونانية :

ترنيمة إلي المعلم (٣٠)

لجام يسيطر علي المهور غير المروّضة

جناح الطائر الذي لا يكل

موجّه ثابت للسفن في البحار

الراعي لقطيع الملك الخاص

أدعو أولادك معاً

اسمح لهم يغنون في برائتهم

ترنيمة تسبيح مقدس

---

(٣٠) النص اليوناني : ستايهلين Staehlin ، الطبعة الثانية GCS Schrifsteller der Eresten Drei Jabshundette ١٩٥٦ المصادر المسيحية ١٥٨ .

ترانيم من القلب

دعهم يرتلون الحان شفاه طاهرة

للمسيح القائد والموجّه

أنت تحكم علي القديسين

المنتصر علي العالم

الكلمة والابن للإله الأعلي، الآب السماوي

قلعة الحكمة

المعزي الحقيقي لكل من هو في ألم

الفرصة الأبدية لكل العصور

يسوع، أنت المخلص

لكل الجنس البشري المائت

الراعي لنا والعامل فينا

الموجّه واللجام

الجناح الذي يرفع إلي السموات قطيعه المقدس

صياد أولئك الرجال والنساء

الذين لم يبتلعهم محيط الشرور

أسماك نقية جذبها طُعم الحياة الحلو المذاق من العاصفة الهوجاء

أيها الراعي المقدس لحملان الكلمة

لتكن الموجه لها ، يا مليك الأطفال الأبرياء

أيها المسيح الرب وجّه طريقهم نحو السماء

مقتفين آثار أقدامك.
أيها الكلمة ، نبع الحياة الأبدي
زمن لا نهاية له
ضوء لا ينقشع إلي الأبد
ينبوع التقوي الحقيقية
أنت صانع الفضيلة
للذين حياتهم المقدسة ترنيمة لله
يسوع المسيح، المنسكبة من الصدور الرقيقة
لعروسك الكنيسة عطايا
من حكمتك
أنت اللبن السماوي
في الصدورالرقيقة لعروسك
عطايا حكمتك، منقاة بأحمال الآلام
أطفالك الصغار بشفاه بريئة
نشرب الرحيق الإلهي للروح
من صدر الكلمة ،أمهم
حتي يصلوا إلي حد الشبع

دعونا نحتفل بملكوت المسيح
نمجّده دون تكلف، بكل بساطة

دعونا نقدم له تقدمه مقدسة

نغني معاً دروساً تعلمناها من حياته

دعونا ندخل ضمن موكب

الذين يتبعون الابن الكلي القدرة

جوقة من يحبون السلام

ورثة المسيح

شعب الحكمة

دعونا معاً نمجد

إله السلام

٢ - ماريوس فيكتورينوس Marius Victorinus

يعرف ماريوس فيكتورينوس أفضل ما يكون في كثير من الدوائر علي أنه الوثني العجوز، الفيلسوف الأفلاطوني الحديث الذي لمس إيمانه وتحوله إلى المسيحية أوغسطينوس العظيم بعمق شديد (اعترافات ، الكتاب الثامن، الفصول ٢،٤،٥) حتي قال "إني أحترق لأقلده"، ويبدو أن أهميته ككاتب مسيحي تكمن في وصفه "بمفترق ثلاثة طرق مختلفة هي : تراث روما الكلاسيكية شيشرون وفرجيل، الاتجاهات الحديثة في الفكر الفلسفي - (بلوتينوس)، الأوضاع الحديثة للمسيحية، مع ما سببته هذه الاتجاهات من تغير مفاجئ في ضمير المواطن الروماني " (٣١)

(٣١) ماريوس فيكتورنيوس ، ترجمة ماري ث. كلارك R.S.C.J آباء الكنيسة ٥/٦٩ : مطبعة جامعة أمريكا الكاثوليكية ١٩٨١ ص٥

فـيكتـورينوس هو أول باحث مـسـيـحي لاتيني يقـوم بوضع بحث منظم عن التـثليث، بحيث لا يمكن إنكار تأثيره علي العمل اللاحق لأوغـسطينوس عن التـثليث Detrinitate المختارات التاليـة مأخوذة من الأعمال الشعرية لفيكتورينوس، وهي أكثر من أعماله النثرية، وهي من أولي الأمثال في طريق التعبير عن اللاهوت والعقائد في نوع من الكتابات أكثر من الرسائل والأبحاث.

الترنيمة الثانية (٣٢)

ارحمني يا رب، يا يسوع المسيح ارحمني

ارحمني يا رب

لأنني أؤمن بك

ارحمني يا رب

فقد أتيت لأعرفك بسبب رحمتك

ارحمني يا رب، يا يسوع المسيح ارحمني

أنت كلمة الله لعقلي

أنت كلمة الله لنفسي

أنت كلمة الله لجسدي

ارحمني يا رب، يا يسوع المسيح ارحمني

الله حي

الله حي إلي الأبد

---

(٣٢) PL ٨ : المصادر المسيحية ٦٨

لأنه لا شئ قبله فهو حي بذاته
ارحمني يا رب ، يا يسوع المسيح ارحمني
المسيح حي
لأن الله بولادته أعطاه أن يحيا بذاته
ولأن المسيح يحيا بذاته فإنه يحيا إلي الأبد
ارحمني يا رب ، يا يسوع المسيح إرحمني
لأن الله حى ولأنه حى إلي الأبد
فقد أعطيت الحياة الأبدية
الحياة الأبدية هي المسيح ، ابن الله
ارحمنى يا رب، يا يسوع المسيح ارحمنى
وإذ الآب يحيا بذاته
وإذ الابن كذلك يحيا بذاته
فالشكر للآب على ما خلقه
الكائن الواحد مع الآب، لأنه هو كذلك يحيا إلي الأبد
ارحمني يا رب ، يا يسوع المسيح ارحمني
يا الله أنت أعطيتني نفساً
ولكن النفس هي صورة الحياة ولأن النفس كذلك تحيا
يا الله امنح نفسي أن تحيا كذلك الي الأبد
إرحمني يا رب ، يا يسوع المسيح ارحمني
إذ قد خلقت علي صورتك ، يا الله الآب

وعلي صورة ابنك
امنحني أن أعيش ، مخلوقاً للعصور
لأن الابن قد عرفني
ارحمني يا رب ، يا يسوع المسيح ارحمني
لقد أحببت العالم لأنك صنعته
كنت أسيراً للعالم عندما أصبح غيوراً
لكل ما هو ملك لك
والآن أكره العالم لأنني قد شربت من الروح
ارحمني يا رب، يا يسوع المسيح ارحمني
يا رب أعن من سقطوا
أعن من يحاولون القيام ثانية
بحسب نظامك السماوي وحكمك المقدس
حتي خطيتي لها نصيبها في سر الخلاص
فهل لي بالنهاية أن أستريح ساكناً في النور
مخلصاً بنعمتك.

٣ - افرآم (السرياني) قيثارة الروح القدس

Ephrem Harp of the Holy spirit

القديس افرآم (السرياني) هو واحد من أكثر الشهود تألقاً في سوريا المسيحية

القديمة، وعندما كان شماساً أو في مهام هذه الخدمة لمدة حوالي خمسين سنة مساعداً للمطارنة كواعظ ومحاضر ومعلم ومدير للطقوس وقائد للصلاة والموسيقي المقدسة وموزع للمساعدة للفقراء وخادم للمرضي وراع للغريب ونموذج لحياة الزهد والتأمل ، وقد أصبحت ترانيم إفرآم السرياني أدوات فعّالة في الكفاح ضد الهرطقة، وقد ترجمت هذه الترانيم إلي اليونانية والأرمنية والجورجية والأثيوبية و اللاتينية والسلافونية.

أخذت الترنيمتان المقدمتان أدناه من مجموعة تسمي "علي السماء" وهي مجموعة غنية بالصور الكتابية منغّمة بالحماس لأرض الموعد المدعوين للدخول إليها بتأكيد بنعمة المسيح الذي سبقنا ، والذي يصحبنا أيضاً في رحلتنا إليها (٣٣)

الترنيمة الخامسة

القرار : ما أسعد من يستحقون ميراث السماء

١ - عندما أتأمل الخالق- الكلمة

وأقارنه

بالصخرة التي صاحبت الشعب

في الصحراء

دون أن تجمع أو تخزن لنفسها

أي ماء

تسكب علي الشعب

سيولاً دون عناء

الصخرة فارغة من أي ماء

---

(٣٣) هذا هو الوصف الذي قدمه رينه لافينانت S.J. في كتابه : إفرايم من نيسيب، ترانيم علي السماء.

لكنها فاضت بينابيع غنّاء
كذلك أوجدت الكلمة أعمالاً
من فراغ وفضاء

٢ - في كتابه
يشرح موسي خليقة الطبيعة كلها
حتي تعطي شهادة للخالق منها
من الكتاب والطبيعة ذاتها
فالطبيعة تشهد وهي تستخدم
كما يشهد الكتاب وهو يقرأ
هؤلاء هم شهود
منتشرون في جميع الأنحاء
يظهرون في كل العصور
موجودون في كل لحظة تجئ
ليثبتوا لغير المؤمنين
جحودهم لخالقهم.

٣ -عندما بدأت في قراءة هذا الكتاب
ارتعدت نفسي فرحاً
فكل آياته وكل سطر به

ذراعان مفتوحان لاحتضاني
أتت الآية الأولي تجري فرحاً نحوي
محتضنة إياي في حنان
مرشدة لي إلي الأمام
لأقابل الآيات المصاحبة .
فقرأت حتى وصلت إلي سطر
كتبت به قصة السماء
فأخذتني من قلب الكتاب
إلي داخل قلب الجنة الغيماء

٤ – السطور كانت كالجسر
لعيوني وروحي
ليعبرا حقاً
وصولاً إلي قصة عدن
وعندما تقرأ عيوني
تنقل روحي فوق الجسر
فيجد قلبي الطريق لجلب الراحة
إلي عيوني وهي تقرأ
إذ عند قراءة الكتاب
وعندما ترتاح عيوني تحتدم روحي في نشاط

٥ – عندما اكتشفت الجسر والباب إلي الجنة

بهذا الكتاب

مررت ودخلت

أما عيوني فقد تركتها بالخارج

لكن روحي دخلت إلي أعماق الجنة

فتجولت هنا وهناك بهذا المكان

وإن كان لا يوصف ما به

قمة التل واضحة جلية

نقية غير ملوثة سامية رائعة

يسميها الكُتّاب عدن

مكان كل الأفراح

٦ – هنا أقمت خيامي

خيام الحق

مليئة بالنظر

شذاها عبير مكللة بالفواكة

مزينة بالزهور

وحسب أعمال كل إنسان

هكذا يظهر سكناه

فواحد له زينة قليلة

وآخر يتلألأ في إشراق

واحد مطفأ البريق قاتم الألوان

وآخر يشع في مجد

٧ – مرة أخري سألت نفسي هذا السؤال :

هل الجنة تكفي لتحقيق إقناع

الحق الذي يسكن بها ؟

وبحثت عن جواب غير مكتوب

ووجدت تنويراً فيما هو "مكتوب"

انظر الرجل

الذي يسكنه لاجئون من الشياطين

دون أن يتخيل أي انسان

احتلوا السكني به

لأن جيوشهم أكثر براعةً

من النفس

٨ – هذا الحشد بكامله

سكن في جسد واحد

أما أجساد الحق فإنها تكون

أكثر سماوية مائة مرة

وعند قيامها في اليوم الأخير

هذا الجسد يظهر في صورة

روح ملكي

وكما يريد يمدد ذاته ويمتد بها

أو كما يختار ينكمش ويتضاءل حجمه

وعندما تنسحب الروح تبقي هنا

وعندما تنتشر تظهر في كل مكان

٩ - هناك أكثر ، تعال انصت وافهم

المصابيح تتوهج بالآف الأشعات

لتضئ بيتاً واحداً

وكأس زهرة واحدة

يحمل آلاف العطور

حتي وان كانت في أصغر حيِّز

فتنشر في الهواء

وكأنها تحتفل بعيد

كذلك الفردوس

رغم ملئه بالأرواح

فما زال به حيِّز لبهجة هذه الأرواح

١٠ - أستطيع أن أقول المزيد

عدد لا يحصي من الأفكار

تجيش في أصغر الصدور

وبينما هي هناك تتواجد في كل مكان أكثر من أي مكان آخر

فهي غير مفيدة

ولا تشكّل عبئاً علي ذلك القلب

فكم أكثر يوفر الفردوس

حيّزاً وافراً لتلك الكائنات الروحية

المخلوقة من مادة طاهرة لا يمكن أن تلمس

حتي بالفكر

مجداً لهذا العجب

١١ - تعجبت إلي المنتهي من وجودي

عند عودتي إلي ذاتي

فجأة سمعت صوتاً من أعماق الفردوس

رعد شديد دوي أبواق

كأنه في معسكر

كذلك أصوات تصرخ

"كل المجدللثالوث القدوس"

إذ في وسط الفردوس

يسكن اللاهوت
المجد لإلهنا
كان لابد أن أعرف أنه كذلك حيث كان المكان فارغاً
وأكدت الأصوات أفكاري بيقين

١٢ – مرة أخري ملأتني عدن بالنشوة
لسلامها وجمالها
هناك يجد الإنسان
جمالاً لم يلوث
هناك إلي الأبد
سلام دائم لا يتغير
ما أسعد أولئك
الذين يستحقون الحصول علي ذلك السلام
فإن لم يكن بالعدل
فعلي الأقل بالجود
إن لم يكن لأعمالهم
فعلي الأقل بالشفقة والرحمة

١٣ – عند اجتيازي الحدود إلي الفردوس
كم تعجبت

لأجد بها محتجزاً فيها

كل ما يؤكد الصحة الجيدة

وعندما عدت إلي شواطئ الأرض

أم الأشواك

الأسي والشرور من كل الأنواع

اندفعت نحوي

فعرفت عندئذ أن أرضنا هذه

بالمقارنة بالعالم الآخر

هي عبارة عن سجن لبكاء المأسورين

عندما تكون مغادرتهم وشيكة

١٤ - كم تعجبت أن أري أولئك الأطفال

وهم لتوهم خارج الرحم أيضاً يبكون

يبكون لتركهم الظلام إلي النور

للانطلاق من حيز ضيق إلي العالم الكامل

كذلك الموت هو نوع من الولادة للبشر

يبكي من يولد كما يفعل عندما يترك العالم

أم الأسي

حتي وهم يتوجهون لدخول جنة السرور

١٥ - رب الفردوس

ارحمني

إذا لم يكن في قدرتي دخول جنّتك

علي الأقل امنحني أن أكون مستحقاً

أن أبقي علي مقربة من تخومك

هناك علي مائدة معدّة للقديسين

لعل ثمار هذا الفردوس تهبط في سيول من الفتات

لنا نحن الخطاة

الذين يعيشون هناك لجودك.

الترنيمة الرابعة عشرة

القرار : أعطنا النعمة

لنرحب بملكوتك

مجداً لله

١ - كلنا لابد أن نخضع لمعاناة يومية

في أبسط الأشياء

إنها تجربة تهدف إلي منعنا

عن الحياة الأرضية

لكن رغم ما نتعلمه

تتشبث روحنا بهذا العالم

ما أسعد من يفهمون

كم من المفيد

توفير احتياجات الرحلة

بالأعمال الطيِّبة للترحيب

بالرب عندما نتقابل معه

ما أسعد من حققت مكاسبهم

إسعاد قلب سيدهم

٢ – وأسفاه نحن كعبد رافض

للحرية المقدمة له

في العام السابع من عمله

الذي يفضل ثقب أذنه

حتي يبقي مدي الحياة

عبداً لأولئك الذين هم أيضاً عبيد

انظر، الفضل للموت

فالمضطهدون أنقياء القلب

كل أولئك المحمولين إلي القبر ليدفنوا

يحصلون علي النجاة

صلِّ حتي تكون مستحقاً للترحيب بأصدقائك

٣ - لقد ألقي إرميا

في حفرة ببيت يوناثان

ورغم أنه رجل صبور

كان غير راغب في البقاء هناك

لكننا نحن رغم أن مساكننا الأرضية

معبأة بالشرور

نصلي لنبقي بها

دون أن نري أننا نغرق بها

امنحنا يا رب أن نري بوضوح

حالة ذلك المكان الذي يحتجزنا أسرى

٤ - نعلم أن دانيال كان يصلي

أن يطلق سراحه من بابل

حتي يتوجه لأرض الموعد

وبابل هي صورة للأرض الملعونة

لنفعنا رسم الرب هذه الصورة

حتي نصلي لدخول أرض عدن

مبارك الرب الذي برحمته يقودنا إلي هدفنا

٥ - أيضا نوح انتظر وصلي رمزياً

ليحصل علي الحرية من الفلك
رغم أن إقامته به
لم يكن بها تعب له
حتي لا نعد مرتبطين
بسكني هذه الأرض
المحملة بكل الأسقام
ما أسعد من يوجهون سفينتهم
مباشرة نحو السماء

٦ - موسي كان بكرامة عالية في مصر
لكن أبي أن يعرف
ابن ابنة فرعون
وفضل العيش كرجل فقير، راعي غنم
لذا كم يكون فرحنا
عندما نخرج
من العبودية إلي الحرية
ما أسعد من يجدون النجاة
في السماء

٧ - يعقوب قاد قطيعه إلي بيت أبيه

هنا مثال لمن يمكنه أن يتبين

مثالاً لمن يدركون

إن هذه هي الطريقة التي نتوجّه بها إلي بيت الآب

دعونا نحن أيضاً يا إخوتي وأخواتي

نعود إلى بيت الآب

دون أن تضلنا محبة

عالم ذاهب إلي الزوال

لتكن عدن مدينتك الحقيقية

ما أسعد هؤلاء الذين سيرون أحباءهم مرة أخري

في عدن

٨ – هناك ثمار القداسة نجد

ملابس من نور

تيجان النصر

درجات إلي أعلي الأمكنة

غني دون شهوة

راحة دون شقاء

عيد لا نهاية له إلي الأبد

أما في مكان العذاب الذي نعيش فيه

ما أسعد من يقول

"ربي نجني"

٩ - لغة هذا المقر السماوي

هي غناء لأرواح مباركة

فعندما يغني الساروفيم

وعندما ترفرف أجنحة الشاروبيم

فلا يوجد علي الأرض ما يماثل هذه الأصوات

فرحتهم الوحيدة إطلاق التسابيح

كل يطعم روحه

بموسيقي قيثارة

تعال يا رب واجعلنا مستحقين أن نغنّي معهم

جوقة "المجد لله"

١٠ - دعونا الآن نرفع النقاب قليلاً

عن أعيننا

ونتأمل هذا المكان - عدن

لنحاول أن نحرك في قلوبنا

شعوراً بالأسي

إننا نود إطالة إقامتنا

بهذا المرفأ الذي يحوي سفناً حطمتها الأعاصير

حيث تجار البحار يتحملون خسائر يومية
بسفن يأكلها الدود وشحنات مسلوبة
ما أسعد الأطفال الذين أكملوا الرحلة
في سلام

١١ - فهي ترعي كحملان تحررت من الخوف
في مروج الفردوس
إبليس في تعاسة لأنه لم يستطع
تحطيم طهارتهم
وأولئك الذين لم يتمكنوا من تضليلهم
يأخذهم الحقد
أما هم فتسود نقاوتهم الطاهرة
متألقة ملكية
تتوّج جبينهم الناصع غير المشوّه
ما أسعد من يكونوٰن علي استحقاق
للحاق بهم

١٢ - جمالهم لن يذبل
بهاؤهم لن يموت
بينما والداهم المحرومين من الإحساس بهم يبكون وينوحون

هناك يمجدون الواحد الذي قد لا يكونون يعرفونه من قبل
هنا علي الأرض
يمجدون الواحد الذي تحرك مشاعره الطيبة
دموعنا ونواحنا وملابسنا المستعارة
مبارك الذي نوجه إليه غضبنا
فقد رفع فقيدنا المحبوب في مجد

١٣ - المجد لراعي شجرة الإنسانية
الذي يجمع كل يوم للتقدمة
ثمار من كل حجم وعمر وحالة
يا للعجب، أزهار رقيقة تلتقط
قبل الثمار الناضجة
مبارك من يقدم تاجاً من الأولاد
لأبيه السماوي

١٤ - هناك في الأعالي
الندم يملأ قلوب الكثيرين
الذين لم يحتملوا التجربة و التأديب
الله الطيب كان يريدهم أن يسددوا ديونهم
بتجارب صغيرة عابرة - لكنهم يأبون

بحق يأسفون علي جود لم يعرفوه
الكل يمجدك يا الله من أجل
جودك اللانهائي لكل إنسان

١٥ - آه يا ربي دع جودك يقودني أيضاً
لأني أنا أيضاً سجين
لقد أسر والداي من جنة عدن
إلي هذه الأرض - أرض الأشواك بخداع إبليس
الذي ثبت أنه كذاب محاولاً أن يخدعني
بالتعلّق بهذه الأرض الشريرة وبمحبتها
التي هي مكان للتأديب
مبارك الرب الذي يأتي لتحرير المأسورين
وليحطم من أخذنا أسري

٤ - غريغوريوس النازينزي Gregory of Nazianzus

كان غريغوريوس الذي يعرف أحياناً بلقب "اللاهوتي" واحداً من ثلاثة آباء عظام يعرفون بالكابادوكيين، ومع صديقه باسيليوس Basil الذي من قيصرية وأخا باسيليوس الأصغر غريغوريوس النيصي حقق النازيانزي قيادة لاهوتية وروحية ورعوية للكنيسة في القرن الرابع، وبالإضافة إلي العظات الخطابية اللاهوتية العميقة التي يشتهر بها فإن كتابات إغريغوريوس تشمل الكثير من الرسائل والأشعار، والنص التالي عبارة عن

مقتطفات من عمل فريد من نوعه في كتابات الآباء ، وهو عبارة عن دراما مأساوية، وبصفة خاصة أثر أدبي له طابع الشعر اليوناني التراجيدي، ويبدو أنه لم تحل مسألة نسب تأليف عمل "ثيولوجي متميز" إلي غريغوريوس النازيانزي إلا في عام ١٩٦٩ بنشر النص في طبعة المصادر المسيحية، والمقتطف التالي (٢/٢٥٣٢-٢٦٠٢) عبارة عن صلاة للمسيح وأمه، تختتم بتلاوة للآلام والموت . المسيح في القبر والقيامة.[٣٤]

آلام المسيح

أيها الملك الكلي القدرة ، الفادي الأمين ، مخلصي
خلصني من هذه القيود التي لا تذوب
التي للأسف أسرت بها
لضعفي
عدونا المضلل جرّني لغيرته
إذ رآني قد خلصت من أخطاء الماضي
بالثقة بك بعطية من رحمتك
مجداً للابن الفريد للآب الوحيد
مليكي سيدي، لقد سحقت الحية
المسببة لكل أسقامنا
هزمت عدونا المخيف، الموت

(٣٤) آلام المسيح، غريغوريوس النازيانزي : الناشر أندريه توبليير : المصادر المسيحية ١٤٩ .

لا تتركني ثانية في يد أعدائي
أيها الملك، الملك السرمدي، أنت الإله الكلي القدرة
والحاكم العادل إلي الأبد، تعال سيطر عليّ
كيف أجسر النظر إليك، أيها الكلمة؟
كيف لعيوني أن تتفرس جلالك
لأني في شقائي قد صرت غير مستحق
للسماء والأرض وكل خليقتك ؟
الشرير أمسك بي وألقي بي
في الهوة في الهاوية في فوضي غامرة
جرّني دوناً عني حتي أخذني
في قبضته
ألقي بي كلية في ظلام جهنم
ارحمني يا الله مد يدك
إليّ لتسندني
لا تتركني لنزوات عدو البشر
فإنني خليقتك : دربني أيها الكلمة السماوية
حذرني بنفسك بجودك العظيم وأنا هنا علي الأرض
لا تسمح بأن ألقي في النار
إننا حقاً مذنبون
بظلم تعيس في أجسادنا

أتوسل إليك يا فاديّ أن تسمع لي
لقد أخطأنا إليك وكثيراً ما خالفنا وصاياك
فهنا بعد فوات الأوان، لم نكن نعلم
ما يجب عند اللزوم
بل حتي الآن لم نفعل ما هو حسن
في عينيك
نعترف بأخطائنا، أفلا تغفرها لنا
نعلم أن غضبك ليس مثل غضب الكائنات البشرية
ارحمني أيها المخلص، لا تدعني أهلك
بسبب خطاياي
فأنا طفلك، طفل وصيفتك الخاصة
أنا الذي مت أنت من أجلي، أيها الكلمة السماوية
لا تتركني لنزوات الشرير
دربّني علي وصاياك ، علمني
في جودك العظيم
لتعلم يا كلمة الله أن من يتشفعون
لنا هم والدتك وأتباعك
الذين أعطيتهم بنعمتك أن يحرروننا من قيودنا

أيتها العذراء الطاهرة ، السيدة الكريمة المباركة، أنت تسكنين

السماء ، في مقر المختارين

لقد زعزت حمل الوجود البشري

ليصير بلباس الحياة الأبدية

نعرف أنك شبه الله شبابك دائم إلي الأبد

بأعالي السماوات اقبلي صلواتي

برحمة

نعم نعم أيتها العذراء المنعمة ، تقبلي صلواتي

بين كل البشر، أنت الوحيدة التي تملكين هذا الامتياز

أن تكوني والدة للكلمة بطريقة تفوق كل

الفهم

لهذا أضع كل ثقتي به

وبدوري أقدم صلواتي إليك وهكذا

أقدم لك يا سيدتي

تاجاً منسوجاً بزهور مروج لما يطأها إنسان

مقابل النعم التي وهبتها لي

احميني علي الدوام من كل شر، من الأعداء الظاهرين

بل وأكثر ، من الأعداء غير الظاهرين

حتي أعبر العتبة الأخيرة في حياتي

كما عبرت الأولي معك أبداً حارسة لي

كوني علي الدوام حاميتي القوية مع ابنك

بصحبة القديسين المرضيين لديه
لا تسمحي أن أسلم للعذاب
لأني كنت لعبة في يد الشرير
مُفسد النفوس
احميني ، احفظيني من لهيب النار
ومن الظلمة
ليكن إيمانك ونعمتك مؤثرين
في تبريري
لأننا نعلم أن نعمة الله تأتي لنا
بشفاعتك
والآن أرجو أن أغني ترنيمة عرفان لك
مجداً يا سيدتي أنت الفرح كله
الأم العذراء أنت أجمل كل العذاري
السيدة المبجلة أنت التي تأمرين جيوش السماء
سيدتي، مليكتي، أنت الفرح لكل الجنس البشري
أنت أبداً محبة شفوقة طيبة للجميع
بالحق أنت خلاصي الاسمي

٥ - أمبروسيوس من ميلانو Ambrose of Milan

يحظى القديس أمبروسيوس بالتكريم في الكنيسة لمشاركته في الحياة المسيحية وقيامه بالتعليم في مجالات عديدة مثل المجال الكتابي واللاهوتي و التعليمي والأخلاقي والنسكي، كما يعرف أيضاً بقيامه بالارتقاء بفن الترنيم والغناء الروحي، وهي عبقرية خاصة تعتمد علي القصة المعروفة التي يشير إليها أوغسطينوس (اعترافات ١٥،٧/٩) فيما يتعلق بالأسلوب الذي تمكن به أمبروسيوس والمؤمنون في ميلانو من الاحتفاظ بالكاتدرائية(الباسيليكا) التي كانت الإمبراطورة جوستينا Justina ترغب في الحصول عليها من أجل المسيحيين الأريوسيين (التابعين لآريوس الذي قال عام ٣٣٦م أن الابن المسيح غير مساو للآب (الله) في الجوهر) حيث كان أمبروسيوس ورجاله يحرسون الكنيسة نهاراً وليلاً يرنمون المزامير والأناشيد والترانيم التي ألقي بعضها بنفسه الأسقف بولينوس Paulinus وهو أول كاتب سيرة مذكرات أمبروسيوس.

بدأت بهذه المناسبة ممارسة إنشاد الترانيم التجاوبية والترانيم العادية وترانيم وصلوات المساء في كنيسة ميلانو ، وهكذا لا تزال هذه العادة باقية حتي يومنا هذا ليس فقط في الكنيسة، بل أيضاً في كل قطاعات الغرب (الفصل ١٣/٤) .

علي الرغم من أن أكثر من عشرين ترنيمة طقسية تعزي إلي القديس أمبروسيوس، إلا أن ما يمكن أن ينسب إليه بشكل قاطع لا يزيد عن أربعة أو خمسة، والترنيمتان الواردتان هنا موجهتان إلي المسيح.

ترنيمة لزمن مجئ المسيح الثاني [٣٥]

---

(٣٥) هذه الترجمة قد طورت بحرية من النص اللاتيني حتي تكون صادقة لفكر المؤلف وللحفاظ علي وزن العميق الذي وجده أمبروز موصلاً إلي مشاركة الشعب .

يا فادي الأمم، تعال
حتي نتذوق فاكهة العذراء
وكل عصر يحدق في عجب
علي ذلك المولد استحقاق الله
لم يتدخل به نتاج أي أب أرضي
لكن روحا غامضة لمست أحشاء العذراء
كلمة الله التي أخذت صورة إنسان
وجسد إنسان تحول لاهوتياً
أحشاء العذراء تحمل حملاً
أمْ ما تزال عذراء
الله يسكن هذا العرش الجسدي
أعلام النعمة تظهر وجوده
أنظر الآن من غرفة الزفاف
من صالات الطهارة العالية
عظيم في بشريته وفي لاهوته
بطل يعرفنا كيف نجري
قادم من عند الآب، الله
إلي الله الآب يعود
يتسابق إلي بوابات الجحيم
من الموت إلي الحياة ليسكن مع الآب

تحمل صورة جسدك

إلي الله (الآب) السرمدي فتكون معه واحداً تقوي هيكلنا الأرضي المؤقت

مجد الانتصار الجائزة الممنوحة لك

المهد الذي ترقد به يندفع

في نور يغير الليل إلي نهار

نور لا يعرف الفزع

كما يمسك الإيمان بالشعاع المتوهج

المجد لك أيها المولود من عذراء

ربنا ومع الله الآب

في وحدة الروح الآن

وإلي أبد الآبدين.

ترنيمة الصباح

من مجد الآب يفيض

سناءً، نور من نور، نقول

نور كل الأنوار ومصدر كل نور

نور يضئ كل أيامنا

نور أقوي من أي نور : الابن الحق علينا

يهبط بأشعات تبدد الأحزان

دع نيران روحك القدوس

تجيش بكل إحساس وتوقد كل القلوب

إلي الله الآب، إله الممجد

السرمدي، إله الجلال والنعمة
نقدم كل تعهد متوسلين
غسل كل ذنوبنا وآثامنا
ليوجه الله أفعالنا بالطريق الصحيح
يخمد ضربة الحاقد ويحيطنا بالعناية
يحفظنا في هذه الحياة
بشجاعة لكل يوم نخشاه
فهو حاكم كل العقول ومليكها
لنبقي في طهارة الجسد أحراراً
لنكون أمناء حتي نار المحبة
تحفظنا ساكتين من السموم الضارة
فيصبح المسيح نفسه طعاماً لنا
والإيمان شراباً ينعشنا
نشرب بفرح ونحن واعين
كأس الروح المنشط
أيها اليوم السعيد، تقدم في فرح
إلي أيام أخر، وبراءتنا
باقية لا نعرف فيها ظلام
بإيمان متقد هو شمسنا الدائمة
تظهر عربة الفجر
هناك في الشرق ، اليوم المشرق

إنه الابن واحد مع الآب
يظهر الآب بكمال .

٦- أورليوس برودنتيوس كليمنز (٣٤٨م - ٤٠٥)

Aurelius Prudenntus Clemens

يعتبر كثير من المؤلفين برودنتيوس -المعروف عامة علي أنه هذا الكاتب- أنه أعظم شاعر لاتينى بالعصور المسيحية القديمة، فهو يمثل تلك المجموعة من المسيحيين التي استفادت من مزايا الهيبة الاجتماعية والتعليم الممتاز، وقد جمع برودنتيوس عبقرية الفنان الأدبي مع عبقرية الحاكم في بلده الأصلي أسبانيا، وفي الوقت الذى كان فيه الكابادوكيون وأمبروسيوس وأغسطينوس مشغولين في المناقشات اللاهوتية الخاصة بالأسرار المسيحية قدم برودنتيوس وسيلة أخرى هى الشعر لتأكيد إيمانه المسيحي المتحمس.

الترنيمتان التاليتان مأخوذتان من كتابه Liber Cathemtinon الذى يحوى مجموعة من الترانيم من مختلف العصور وأعمال كل يوم ، وبهذه المختارات نري أيضاً كيف يحاول الشاعر أن يشرح ظواهر طبيعية معينة تبقي في جزئها الأكبر غامضة ، أو تفهم في ضوء الشرح المعاصر الذى يبدو لنا خيالياً علي الأقل .

٦- ترنيمة قبل الندم [٣٦]

(٣٦) النص : برودنتيوس ١ ، ترجمة اتس.جي. تومسون، مطبعة جامعة هارفارد ١٩٤٩ ، ترجمتي بتصرف من النص اللاتيني.

يا أبانا في الأعالي كن معنا
الذى لا يراه البشر أبداً
والمسيح كلمة الآب
وأنت أيها الروح المعزى
أنت الإله من الله السرمدى
الإله المرسل من اثنين
وأيضاً بهذا الثالوث
القوة الواحدة والنور الواحد
الآن تنتهى متاعب اليوم
وتبدأ ساعة الراحة مرة أخرى
تمددى أيتها الأطراف المتعبة بلطف
لإعلان الندم من جديد
العقل الذى عانى من الاهتمام
بالكروب والعواصف الهائجة
يشرب بشغف الجرعة
التي توفر النسيان وتهدئ الذاكرة
تسرى في جميع أجزاء الجسم
فيتدفق نهر النسيان
ويهرب الأسي والألم
في نسيان لذيذ

هذا هو قانون الله

أن تكون زلات البشر

توازن التعب مع الملذات

الإزهاق من الراحة

ولكن بينما ينام الجسد

ملفوفاً في تراخ

وبينما يجد القلب الراحة

والانتعاش والتجديد

تنطلق الروح في حرية

لتطوف بالسموات

مأخوذة بعلامات متنوعة

أشياء غامضة خافية

منطلقة من القلق والتوتر

يسرع العقل إلي الأعمال

بغذاء من مصدره ، السموات

قوت من الأعالي

هكذا يعمل في م-اكاة

عديد من النماذج

يطوف بينها

بانطلاق دون قيد

ولكن هنا في أرض الأحلام

يمكن أن يمسك الخوف بالنائم

معرفة الأشياء الآتية

تأتى في ضوء لامع

أو أيضاً علي العكس

يخفى الظلام الحقائق

النفس في حزن وخوف

تجول في الظلام

النور الباهر النابض

يجعل أسرار السماء معروفة

لمن يسير في طهارة

بنفس غير ملوثة

أما من فتح قلبه

لأعمال الخطية والشر

يصبح فريسة للرؤي

المفزعة المخيفة

لقد حمل الصديق شهادة بهذه الحقيقة

عندما أصبح تفسيره للأحلام

لأصدقائه السجناء من العرش

ثبت تفسيره لكل منهم

وعندما استدعى أحدهم ليكون ساقياً
لسيده المستبد
والآخر عُلّق علي شجرة
أصبح فريسة للوحشية
عندئذ جلب العزاء
للمليك المحتاج
محذراً بالجوع القادم
مشيراً بتخزين المؤن
وبعد ذلك عندما أصبح حاكماً وأميراً
حكم المملكة في سلام
مشاركاً في سلطة الملك ذاته
مقيماً في بهاء ملكى
ما أعمق هذه الأسرار الغامضة
المسيح يشارك من يحبون
عندما يأتى النوم بأحلام غامضة
لعيون قلوبهم
صديق السيد المخلص
المبشر الغامض
رأى من خلال السحب والظلام
حقائق سبق كشفها

أمام عيونه ، حمل الله

يحمل علامات آلامه

قادر علي كسر الحاجز

وفتح كتاب المستقبل

في يد الحمل اليمني

يتلألأ السيف ذو الحدين

يتوهج ويسطع كالبرق

يضرب مرتين بدفعة واحدة

هذا هو الحمل الذى

يبحث عن النفس والجسد

السيف ذو الحدين

هو الموت الأول والثانى

ومازال الغضب يهدأ باللطف

القليل في النهاية

من يعانون الموت الأبدى

حتى بين الأشرار

انظر كيف أعطى الآب السماوى

عرش الحكم إليه

لنعلم أن الاسم الذى يحمله

يرتفع فوق كل اسم

المسيح يشن حرباً علي أعدائه
مشغولاً بمعركة حياة
يحقق الرب النصر
ويخضع الوحش المفترس
الوحش غير المستتر
والذى لعنه يوحنا
يحاول ابتلاع الأمم
هذا الوحش الذى يجرؤ
أن يدعو نفسه قديساً
يلقيه في جهنم
الواحد المسيح الحق
إنه يوحنا البطل والقديس
المبارك بسلام آمين
عقله برؤية تنبؤ
اخترق هذه الأسرار السماوية
هذه الرؤي السماوية ليست لنا
فنحن مربوطون بالأرض كل يوم
بالأغلاط والأخطاء
برغبتنا غير المقدسة نحو الشر
فنبحث في نومنا عن انتعاش

تجديد لأجسادنا المجهدة بالتعب
لنا رجاء في الحماية
من الأشباح السوداء المخيفة
فتذكّر أيها المسيحى
أنك اغتسلت
في مياه الخلاص بالمعمودية
دهنت بزيت مقدس
وعندما يغريك النوم
تذهب إلي فراش نظيف
وتضع علي رأسك وعلي قلبك
إشارة صليب الخلاص
فتزول الخطية بالصليب
ويتشتت الظلام والخطية
ويجد العقل والروح سلاماً
من هذه الإشارة المقدسة
انطلقي أيتها الأحلام المضايقة
اغرب يا خادع النفوس
اذهب بأشباحك الشريرة
سلام للنائم
لتخرج الحية المخادعة

تذهب بإغراءاتها وأوهامها

فلا شر يحدق

بقلب النائم

هنا المسيح

ليذهب الشر بكل صوره

وأمام إشارة الصليب

يتراجع العدو

بينما الجسد يرجو الراحة من التعب

وإن كانت ساعات السلام قصيرة

حتى في النوم

لتكن أفكارنا في المسيح

الترنيمة الثانية عشرة

يا من تبحث عن المسيح

ارفع عينيك إلي السماء

فتجد بها

علامة مجده الأبدى

هناك النجم في السماء

جماله ونوره

يغلب الشمس اللامعة

معلناً قدوم الله إلي الأرض في الجسد

نجم ليس بمثله يضئ الليل

يتدلي القمر من فمه

فهو نجم يملك السماء

ويوجه سير الأيام

النجوم القطبية في حركة فاترة

تعود إلي ذاتها

هى لا تغرب أبداً بل تجد في السحب

ملجأ من عيوننا

لكن هذا النجم لا يغادر

ولا يغوص أو يختبئ

بريقه يشع

من كل سحابة ظلام

لسنا بحاجة إلي مذنّبات

ولا إلي أجرام تشاؤم ولا إلي شهب ونيازك

مضاءة بحرارة محرقة

فهى تخبو أمام نجم الله

انظر من أعماق فارس

بوابة الشمس المشرقة

المجوس ، خبراء تفسير العلامات

وجدوا النجم العظيم

عند إشراقه

تتراجع كل النجوم

حتى نجم الصباح

يخفى جماله الفياض

عندما يتساءل المجوس

"من هو هذا الملك العظيم ؟"

" الذى يأمر النجوم"

السماء تقف مدينة له

حتى النور يطيعه

" أي مجد نرى ، علامة

من له نهار لا ينتهى

ممجد متعال سلطته بلا نهاية

أزلي حتى عن السماء والنار

" هو ملك جميع الأمم

وهو أيضاً ملكِ اليهود

الموعود من القدم لإبراهيم

ولنسله إلي الأبد

"أبو كل المؤمنين

الذى كان على استعداد للتضحية بابنه
تلقى هذا الوعد السماوى
أن تكون ذريته بعدد النجوم
" هنا زهرة داود
تطلع من جذور التوبيخ
تخرج كزهرة علي قضيب صولجان
لتحكم بسمو علي هذا العالم
عندئذ أسرع المجوس
وعيونهم ثابتة علي الشعاع في السماء
يتبعون ذلك النجم
في طريق من نور
وأخيراً توقفت العلامة العجيبة
علي رأس الصبي
وأرسلت أشعتها لتضئ فتكشف
عن الشخص الذى يرغبون رؤيته
وأمامه فتح المجوس كنوزهم
ذهب ملوكي من الشرق
ولبان ومر للطفل المبارك
لنرى في هذه الهدايا
علامات تقديس ثلاثى

ثلاثية الطبيعة والقدر

ممنوحة من الآب السمارى

فالذهب رمز ملك

واللبان من سبأ يعلن الألوهية

والمُر المُذاب المرير الطعم

ينبئ بالموت والقبر

القبر مكان الراحة

لإله تألم ومات

وقام للحياة ثانية

منتصراً كاسراً حاجز الموت

يابيت لحم العظمى لست الصغرى بين البلدان العظيمة

لك الكرامة أن ترين مولده

الذى تجسد جالباً لنا الخلاص

احتضنتيه فنشأ بك

الابن الوحيد

إنسان من قوة الروح

إله في جسد إنسان

أمر بعهد من الآب

تنبأ به وشهد له الأنبياء

أتى ليعلن ملكوته

ويجلس علي عرشه
ملكوته يسيطر علي كل شئ
الأرض والسماء والبحار
السماء بالأعالي وجهنم النار أسفل
الكون باتساعه من الشرق إلي الغرب
والآن يستمع العرش المضطرب
أن الواحد قد أتى، ملك الملوك
عرش داود يصير له
ويحكم شعب إسرائيل
بحماس لهذه الكلمة يصرخ
"الواحد الذى يحل مكاني هو هنا
أيها المحاربون اذهبوا بالسيوف غير مغمدة
اجعلوا كل مهد مغموراً بالدماء
اقتلوا كل مولود ذكر
ابحثوا بصدور المربيات وأحضان الأمهات
لا تتركوا طفلاً واحداً مختفياً
لتكن سيوفكم حمراء ملطخة بدماء الأطفال
لا تثقوا بأى أم لطفل في بيت لحم
فالكل سيبحث عن الهرب
لإنقاذ مولود ذكر

سحب الجندى المجنون سيفه

مزق الأجساد الوليدة إرباً

لتفقد في ألم حياة الوليد

صغيراً حتى علي الجروح

ولكن بقسوة ذبحت هذه الأطفال الصغار

رغم أن رقابهم لا تزال صغيرة جداً

علي هذا السيف الشرير

يا لها من وحشية بربرية

تطرق رأساً صغيراً علي حجر

والمخ البرئ والعيون الطاهرة

تلقي في وحشية

هنا نرى طفلاً حكم عليه بالموت

بغضب غامر مندفع

كمياه مجري

تأخذ الروح والحياة

المجد لكم يا أزهار الشهداء

يا من سُحقتم وأنتم لا تزالون في المهد

أنتم الأزهار التي قطفت قبل أوانها

بذلك المستبد الذي لحق بالمسيح

أيتها التقدمات الأولي بعالم المسيح

أبرياء ، مقدسين ، قطيع حملان صغار

تيجان وسعف هى ألعابكم

ومذبح الله هو حضانتكم

من استفاد من هذا الفعل الشرير

ماذا استفاد هيرودس من جريمته

فمازال المسيح يعيش

والآخرون قدموا لأجله

أطفال أمهات آخرين ماتوا

أريقت دماء جيل

ابن العذراء وحده

هرب من السيف العنيف

كذلك أيضاً تحرر موسي

من نزوة فرعون الحمقاء

مشبهاً بالمسيح

حامياً لشعبه

نحن نعرف ذلك الناموس

ليس لأم عبرية

أن تربي في حب

أبناء الأرحام

ولكن هنا مربية أمينة

بعدم وفاء حقيقى

لا تبالي بالملك

تنقذ الطفل لمجد متوقع

ينمو من الطفولة إلي الشباب

وهو مدعو للكهنوت

وفي يديه أؤتمن

الناموس المحفور علي الصخر

في هذا الرجل ذاته نري

صورة المسيح المخلص في نبوءة وتمثيل مسبق

وعندما قتل الحاكم المصري

حررت إسرائيل من النير

كذلك أيضاً قائدنا

يجرح العدو

ليحررنا من عبودية الخطية

من ظلال الموت

لقد قاد موسي شعبه

وطهره في مياه حلوة

تاركاً البحر خلفه

يسير وراء عمود نور

مرة أخري أسرت إسرائيل في معركة

فيقف موسي وذراعاه مرفوعتان عالياً

مشبهاً صليب المسيح

فيرى عماليق يهزمون

يسوع آخر - يشوع

مثل المسيح في طواف طويل

يقود شعبه إلي النصر

وإلي أرض الموعد

حيث المياه قد أوقفت

اختار وثبت في مكانه

إثنا عشر حجراً في مرة أخري يمثلون

تلاميذ المسيح الإثنى عشر

في هذا الظهور أصر المجوس

علي أن يروا الملك الموعود

قائد يهوذا الذى جاءت نبوءته

في حياة وأفعال القديسين السابقين

المسيح ملك القضاة

قاضى الملوك ، حاكم الكل

الذى حكم ويحكم الآن

الكنيسة أو المعبد ، حديثاً أو قديماً

أبناء أفرايم ومنسي أيضاً

وكل قبيلة من نسل الاثنى عشر أخاً

يقدمون الولاء والعبادة

لربهم وإلههم : المسيح

أعبدوه أيضاً أيها الأبناء

المذنبون بأفعال مخيفة

الوثنيون والشرسون

صانعو آلهتهم

انظر هم يهجرون الآن

الأوثان المصنوعة من حجارة أو خشب

من معدن أو أى مادة من صنع الإنسان

ليعبدوا المسيح الحق

إبتهجى أيتها الأمم اليهودية

وروما واليونان ، مصر وتراث والفرس

وسكيثيا : واحد هو حاكم الكل

ليعلو التسبيح من كل صوت

التسبيح من الخراف والماعز

التسبيح من الصحيح والمريض والميت

المسيح حي ، إذن لم تعد سطوة للموت .

٧- رومانوس ميلودوس Romanos Melodos

يدعى هذا المؤلف الذى يشار إليه أحياناً باسم المغني القديس رومانوس أعظم كاتب ترانيم بكل الكنيسة ، وأبرز ممثل للشعر اليوناني المنظوم ، وبرسامته شماساً ببلده الأصلي سوريا خدم كعضو في السلك الكهنوتي بكنيسة بلاشرنن بالقسطنطينية .

تعتبر القصيدة التالية " عن ميلاد المسيح " مثالاً لما يسمى كونتاكيون Kontakion أو العظة الموزونة التي تنشد بالموسيقى ، وهي الوحيدة ضمن ثمانين عملاً موجودة فعلاً يمكن إسنادها بثقة إليه عن طريق الشهادة المباشرة ، ونجد في هذا العمل تأكيد الشاعر الواضح للطبيعتين في وحدة شخص واحد هو المسيح، ويمكن أن نتبين أهمية هذا البعد اللاهوتي إذا تذكرنا أن تاريخ وضع ترنيمة (حوالي عام ٥١٨م) يبرز عصراً اكتسح فيه مبدأ الطبيعة الواحدة للمسيح بلاد القسطنطينية بشقّيها العلماني والكهنوتي .

اشتهرت الترنيمة باستخدامها علي مائدة الإمبراطور يوم عيد الميلاد [٣٧]

مقـــدمـة

في هذا اليوم تضع العذراء
الكائن الذي يفوق الواقع
وتوفر الأرض كهفاً
للواحد الذي لا يمكن الوصول إليه
تغني الملائكة مع الرعاة مجداً

(٣٧) النص في المصادر المسيحية ١١٠ والترجمة الفرنسية حررها جوز جروسديدير من مونتون .

بينما المجوس يتبعون النجم
انظر إنه لنا
قد ولد طفلاً صغيراً
إله سابق لكل العصور

١ - تعال نذهب لنري
كيف فتح بيت لحم الجنّة من جديد
لقد وجدنا سرور هذا المكان المخبّأ
لنذهب الآن معلنين ثانية في كهف
كل شئ حلو في الجنة
هناك برز الجذر الذي لم يرو من قبل
ينبع منه الغفران و السماح
هناك نكتشف ثانية البئر الذي لم يحضر من قبل
الذي شرب منه داود عندما عطش
هناك بهذا المولد أطفأت العذراء
عطش آدم وعطش داود
لنسرع إذن نحو هذه البقعة
حيث طفل صغير قد ولد
إله سابق لكل العصور

٢ - الآب اختار بذاته

هذه الأم العذراء

لتكون والدة الابن

المخلص للمولودين من جديد

هو نفسه مولود من جديد

موضوع في مزود

وأمه في تأمل

تتحدث إليه

"قل لي أيا طفلي العزيز

الطريق الذي جئت به إلى الوجود

كيف غُرست بداخلي

قبل عيوني ذاتها

تكون جزءاً من جسدي

كم من عجب يملأني

هنا صدور معدّة لإرضاعك

وليس لي زوج

أراك هناك في أربطة قماط

وأنا ما أزال عذراء

إنه أنت الذي أبقيت الغلاف الجوي سليماً

عندما تنازلت لتأتي إلي العالم

يا طفلي الصغير

٣- أيها المليك الأعظم
ماذا يربط بينك
وبين هذا الجنس المعدم؟
يا خالق السموات
لماذا جئت لتعيش
مع كائنات هذه الأرض؟
فهل فقدت قلبك لكهف؟
أم هل سقطت في حب مذود ؟
انظر ، لم يكن هناك حتى مكان
بفندق لوالدتك
ماذا أقول ؟ حتي مكان واحد؟
نعم ليس حتي كهف
لأنه ملك لآخرين
عندما وضعت سارة
تلقت نصيباً
بأرض شاسعة
أما أنا فليس لي حتى
قطعة صغيرة من الأرض

هذا الكهف مُستعار

واخترت أنت أن تسكن به

يا طفلى الصغير

الإله السابق لكل العصور.

٤ – وهى تتمتم بهذه الكلمات

في صلاة إليه

الذى يملك الأشياء غير المرئية

سمعت الأم أصواتاً

من المجوس وهم يبحثون عن الصبى

وعندما سألت العذراء " من أنتم "

أجابوها " ومن تكونين أنت ؟"

حتى تضعى هذا الصبى؟"

من هو أباك ومن هى أمك

والد ة أم ومربّية

لطفل ليس له أب بشرى؟

ما أن رأينا نجمه

علمنا أن طفلاً قد ظهر

الإله السابق لكل العصور

٥– بلعام كان على حق

في المعنى الذى أعطاه لنبوئته

نجم سيظهر

يفوق بريقه ليبطل

كل وحى وكل نذير

نجم لابد أن يسطع

ويحل كلام الحكماء

حكاياتهم وأمثالهم وألغازهم

نجم كان لابد أن يبرز للعيان

مشعاً أكثر من هذا

الذى نراه بعيوننا

لأنه هو

الخالق لكل النجوم

والذى كتب عنه

" من يعقوب يخرج طفل صغير

إله سابق لكل العصور.

٦- عندما سمعت مريم هذه الكلمات العجيبة

سجدت لتعبد طفل رحمها

وتصرخ في بكاء

" عظيم أنت يا ابنى عظيم كل

ما انجزته بشقائى
هنا المجوس قد أتوا من بعيد يبحثون عنك
ملوك بشرق يتمنون رؤيتك
أغنياء شعبك
يتوسلون أن يصلوا إليك
هؤلاء هم حقاً شعبك
هؤلاء الرجال الذين وجهتهم ليعرفوك
أنت يا طفلي الصغير
إله سابق لكل العصور

٧- وما داموا هم شعبك يا طفلي العزيز
دعهم يدخلون تحت سقفك
اسمح لهم أن يروا غنى فقرك
عوزك الذى لا يقدر بثمن
هو النعمة وهو زينة هذه المسكونة
ولي أنا أيضاً ، أنت بذاتك
وجّه لهم إشارة للدخول
الفقر الذى هنا لا يهم
إذ أنت الكنز الذى أملك
أنت الكنز الذى يتمناه الملوك

لأن الملوك والحكماء قد علموا
بظهورك علي الأرض يا طفلى الصغير
الإله السابق لكل العصور.

٨- يسوع المسيح إلهنا الحق
في غموض وبطريقة لا ترى
لمس نفس أمه وهو يقول
"دعهم يدخلون الذين عرفوا الطريق
بكلمتى ولأن كلمتى
قد أضاءت علي كل من يبحثون عنى
لعيون الجسد تظهر في صورة نجم
ولعيون الروح هى الطهارة والنعمة
مطيع لوصيتي ، هذا النجم
قد اصطحب المجوس
ورغم أنه لا يتحرك لكنه يستوفى مهمته
بإرسال أشعته
إلي مكان مولد الصبى الصغير
الإله السابق لكل العصور.

٩- " رحبي بهم أيتها المقدسة

رحبي بمن رحبوا بي

فأنا فيهم كما أنا بين ذراعيك

ودون أن أترك أحضانك

أتيت إلي هناك معهم"

فتحت مريم الباب

ورحبت بالمجوس

وكل من كان معهم

فهى الباب المغلق

الذى يأتى منه المسيح فقط

فتحت الباب لهذا الجمع

هى التى انفتحت

دون فك طهارتها

فتحت الباب

فتحت الباب إنها هى الباب

الذى من خلاله جاء إلينا الباب الواحد

الطفل الصغير

الإله السابق لكل العصور

١٠- أسرع المجوس في الحال لدخول المكان

وما أن رأوا المسيح حتى ارتعدوا

ولما رأوا الأم مع عريسها
سألوا في خوف " هل هذا هو الصبي
دون نسب بشرى؟ كيف أيتها العذراء
نجد رجلاً في بيتك
لا يلومك علي حملك
بل يرعاك حتي لا تتحملي اللوم
وأنت تعيشين مع يوسف
كثيرون يحسدونك
بشغف يريدون معرفة أين ولد هذا الصبي الصغير
الإله السابق لكل العصور.

١١- " أذكّر كم"
أجابت مريم المجوس
"لماذا أبقى يوسف هنا:
لكي يدحض الشرير
لأنه يعلن
كل ما يعرفه عن هذا الصبى
ملاك مقدس ظهر له
في حلم ليخبره
أننى صرت حبلى

أثناء الليل
شرحت رؤية نارية
سبب متاعبه
وحولت قلقه إلي سلام
لهذا يوسف معى الآن
ليثبت أن هذا الصبي الصغير
إله سابق لكل العصور.

١٢- يعلن بوضوح كل ما سمعه
يعلن بتأكيد كل ما رآه
في السموات وعلي الأرض
يتحدث عن رعاة وموسيقى
يغنيها أناس من نار
وأناس من الأرض معاً كواحد
سيخبر كيف أن نجماً ساطعاً
يشع دائماً أمامكم أيها المجوس الطيبون
قادكم الطريق إلي هذا المكان
دعونا نتعامل مع أشياء حدثت
أخبرونا قصتكم
من أين تأتون

وكيف علمتم أن
طفلاً صغيراً لابد أن يظهر
الإله السابق لكل العصور.

١٣- عندما تحدثت المشعّة بالنور
بهذا الحديث
أجاب مجوس المشرق
"هل تعرفين من أين أتينا
إلي هذا المكان من أرض الكلدانيين:
هناك لا أحد يعلن
"الرب هو إله الآلهة
أتينا من بابل
هناك لا أحد يعرف من خلق
كل ما نعبده
شرارة من نار طفلك
وصلت إلي تلك الأرض
لانتزاعنا من نار الفرس
وتقودنا إلي هنا
لقد هجرنا وتركنا وراءنا
اللهب الذى يبتلع كل شئ

حتي نتأمل

النار التي تطهر وتجدد

الصبى الصغير

الإله السابق لكل العصور

١٤- " الكل باطل الأباطيل

ولكن لا أحد في ديارنا

يرى الأشياء علي هذا النحو

البعض ضل الطريق

وآخرون ساروا في الدرب

فضلاً وكرامة لك أيتها العذراء

ولثمار أحشائك

الذى به حصلنا علي الخلاص

نجونا ليس فقط من الخطأ

بل أيضا من الظلم في كل أرض

مررنا بها

من شعوب بربرية وألسن أجنبية

مسافرين بالأرض بحثاً

نريد أن نعرف من ضوء نجم

أين ولد الصبى الصغير

الإله السابق لكل العصور.

١٥- ولكن عندما شاهدنا هذا المصباح السماوى
بحثنا في كل أورشليم
وبذلك حققنا النبوة
إذ سمعنا أن الله أراد
أن يهز المدينة حتى أعماقها
لذلك مررنا في كل مكان بنورنا
علي أمل العثور علي الناموس العظيم
فشلنا في الوصول لهدفنا
لأن الفلك كان قد أخذ بعيداً
بكل مابه من كنوز
الأيام الغابرة الآن قد ذهبت
كل شئ أصبح جديداً بهذا الصبى الصغير
الإله السابق لكل العصور.

١٦- قالت مريم للمجوس المؤمنين " وبعد ذلك"
"لقد بحثتم في كل أورشليم
المدينة قاتلة الأنبياء؟
فكيف سرتم هناك دون أذي"
بهذا المكان الذى له عين
شريرة نحو الجميع؟

كيف هربتم من هيرودس
الذى ينفث القتل وليس العدالة
فأجابوها "أيتها العذراء
لم نهرب منه
لكننا راوغناه
أوقفنا كل من قابلناه
وسألنا عن مكان ولادة
الصبي الصغير
الإله السابق لكل العصور.

١٧- عندما سمعت والدة الإله هذه الكلمات
أجابت " وماذا سألوكم؟"
هيردوس الملك والفريسيون؟"
"هيرودس أولاً ثم كما أخبرتينا
قواد شعبك استفسروا منا
عن الزمن الصحيح
الذى ظهر به هذا النجم
وعندما علموا ذلك الزمن
تصرفوا وكأنهم
لا يعلمون شيئاً عنه

لم تكن لديهم رغبة
ليذهبوا ويروا
الصبي الذى بحثوا طويلاً ليعرفوه
لأنه فقط من يبحثون بحق
لهم قدرة علي التأمل
وقدرة علي معرفة هذا الصبي الصغير
الإله السابق لكل العصور.

١٨- وصرخ المجوس قائلين " يا لهم من حمقى"
"يظنون أننا أغبياء ومجانين
ويسألونا أى مسافة سرتم إلي هنا ؟
ومتى وصلتم ؟
أى طرق مجهولة سافرتم عليها ؟"
لكننا أجبناهم بأسئلة أيضاً
استفسارات عن أشياء يعرفونها تماماً
" وأنتم منذ زمن بعيد
كيف أتيتم عبر الصحراء ؟
الذى قادكم من مصر
قادنا أيضًا اليوم

١٩ - أحضرنا من أرض الكلدانيين البعيدة
مباشرة إليه
في الماضي بعمود نار
واليوم بنجم ساطع
ظهر لنا صبي صغير
إله سابق لكل العصور
" أينما سار النجم أمامنا
مثل موسي وهو يحمل عصاه
نور معرفة سماوية
أضاء من بعيد
في الماضى أكلتم المن
وعطشكم أطفئ من صخرة
ونحن أخذنا الغذاء من رجائه
وأكلنا من الفرح
لم نفكر في العودة علي آثار خطواتنا
في طريق وعر عبر الصحراء
لنعود إلي فارس
لكننا اشتقنا أن نعبد
ونتأمل ونسبح ذلك الصبي الصغير
الإله السابق لكل العصور"

٢٠ - بحق هكذا تحدّث المجوس
وحفظت العذراء -أعظم قديسة- الكل في قلبها
وتأكد كل شئ
من الصبي المولود
المقام المحفوظ لأمه
وقد حملت به
تقدس المجوس وأقدامهم
غير ثكلي وقوية بعد رحلتهم
ولا واحد منهم يعانى تعباً
مثلهم مثل حبقوق
عند زيارته لدانيال
هو الذى تحدث للأنبياء
وأصبح معروفاً أيضاً للحكماء
إنه ذلك الصبي الصغير
الإله السابق لكل العصور.

٢١- وبعد القصص والأحاديث
اقترب المجوس والهدايا في أيديهم
منحنين أمام عطية العطايا
قبل شذى كل العطور

قدموا للمسيح ذهباً ومراً وأخيرا لباناً

قائلين " تقبل" هذه الهدية المثلّثة

كما قبلت من السيرافيم

الترنيمة التى تعلن عنك

الثالوث المقدس

لا ترفض تقدمتنا

كما فعلت مع قايين

اقبل ما أحضرنا

كما فعلت بتقدمة هابيل

باسم العذراء

التي أعطت لك الميلاد

باسم العذراء

التي ولدت منها

أيها الصبي الصغير

الإله السابق لكل العصور.

٢٢ - العذراء النقية الطاهرة

ترى المجوس منحنين علي ركبهم

يحملون هدايا رائعة وجديدة

ناظرين النجم يريهم الطريق

سامعين أغانى الرعاة
يقدّمون هذه الصلاة إلي الرب
خالق هؤلاء وكل الكائنات الحية
" تقبّل ثالوث الهدايا
يا طفلي العزيز وامنح ثلاثة أفضال
لمن أعطاك الميلاد
أصلّي من أجل المناخ والفصول
من أجل ثمار الأرض
ومن أجل كل من يسكنون عليها
لأنك أتيت إلي هذا العالم من خلالي
مصالحاً العالم كله معك
يا طفلي الصغير
الإله السابق لكل العصور.

٢٣- " أنا لست أمك فقط
أيها المخلص الرحيم
ليس بلا جدوي أن أرضع
الواحد الذي يمنح اللبن للجميع
أتشفع في صلاة لكل الناس
فقد جعلتني صوت شعبي

كرامة لجنسي
الأرض التي خلقتها
تجد الحماية عندي
فأنا متراسها وقوتها
كل هؤلاء الذين طردتهم
من الجنة وأفراحها
يوجهون عيونهم نحوي
لأني قادرة علي قيادتهم
للسير في الطرق
التي توصلهم مرة أخري
دع العالم كله
يعرف ويعترف
أنك وُلدت منّي
يا طفلي الصغير
الإله السابق لكل العصور.

٢٤- "أيها المخلص أنقذ هذا العالم
لأنك لهذا أتيت
أحيي إلي الملء عمل يديك
لأنك لهذا ظهرت أمام عيني

في نظرة المجوس

ومن خلال كل الخليقة

انظر ! ها هم رجال حكماء عند قدميك

فقد أظهرت لهم

نور محياك

وقد أحضروا لك هدايا

نافعة وجميلة ونادرة

أنا بحاجة لهذه الهدايا كما تعلم

لأنني قريباً لابد أن أسافر إلي مصر

لابد أن أهرب معك ومن أجلك

يا ابني ، يا موجهي ، يا خالقي

أنت الذي باركتني

وأغنيتني يا طفلي الصغير

الإله السابق لكل العصور.

الفصل الثامن

وصايا حول الصلاة

من الممكن أن نستخلص "عقيدة " للصلاة من المواد التى تركها لنا الكُتّاب القديسون المسيحيون الأوائل ، ومع هذا فثمة طريقة أخرى متاحة لنا إذا كنا نستطيع أن نتعلم مباشرة من دورسنا السابقة حول كيفية الصلاة ، وهنا أيضاً تختلف أشكال التعليم تبعاً للزمان والمكان والمعلم ، وهنا أيضاً يقابلنا أقدم شكل من أشكال الأدب المسيحى ، ألا وهو الرسالة. فيوجد مثال علي ما نسميه اليوم "الكتابة الصحفية"، ويوجد كذلك مؤتمر روحى قديم، وفي كل نص علي حدة في الصفحات التالية نستطيع أن نكتشف المبادئ والقواعد الأساسية الخاصة بعقيدة لاحقة ، طالما عضدت وأيدت المسيحيين في الصلاة إلي يومنا هذا.

١ - القديس أغسطينوس: الرسالة إلى بروبا

Augustine : letter to propa

كانت السيدة بروباPropa التى أرسل لها القديس أغسطينوس الرسالة رقم ١٣٠ عن الصلاة، كانت عضواً من عائلة النبلاء المسماه "أنيشى بروبي"، هذا وكان قد تم الخلط من وقت لآخر بينها وبين سيدات أخريات من عائلة "انيشى النبيلة" لهم نفس الاسم ، ويبدو أن جدّتها هى بروبا التى استهلت مجموعة التعاليم المسيحية حين كتبت

تاريخ الخلاص من سطور من قصائد "فيرجيل"، وقد صاغته في أسلوب شائع في القرن الرابع، أما "بروبا" التى كتب لها أغسطينوس فقد كانت تلك الأرملة المكرسة ، وتلك الجدّة التي يشير إليها في رسالته De bono viduitatis (في ميزة الترمل) وكانت أيضاً معروفة لكل من القديس جيروم والقديس يوحنا ذهبي الفم .

وهذه الرسالة التى كتبت في عام ٤١٢ بعد الميلاد تقريباً ، تشهد علي العلاقة بين "بروبا" وأسقف هيبو الذى كانت تستشيره كمرشد روحي لها ولأعضاء جماعتها من الأرامل والعذارى اللاتى استقررن في قرطاج في عام ٤١٠ بعد الميلاد تقريباً، وهذه الرسالة عبارة عن مجموعة من أقدم الوصايا الجادة حول الصلاة في الأدب المسيحي(٣٨)

أغسطينوس أسقف وخادم المسيح ، وأحد خدام المسيح يبعث بتحياته باسم رب الأرباب إلي "بروبا" خادمة الله (تبدأ الرسالة بملاحظة عن الفرق بين الصلاح الحقيقى والظاهر ، بين مباهج " الحياة الحقيقية " ومتع العالم ، و كذلك عن الطريقة التى يعيش بها المسيحى بالإيمان) " متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه في المجد" (كو٣ : ٤). هذه هى الحياة الحقيقية التى أمر الأغنياء بأن يتمسكوا بها بواسطة الأعمال الصالحة ، ثمة تعزية حقيقية للأرملة الوحيدة الآن، حتى إن كان لديها أبناء وأحفاد وتحكم بيتها بتقوى وتترفق تجاه أولئك الذين هى مسئولة عنهم كى ما يضعوا رجاءهم في الله ، وهذه هى صلاتها "عطشت إليك نفسي يشتاق إليك جسدى في أرض ناشفة ويابسة بلا ماء " (مز٦٣:١) . حقاً إنها حياة ميتة بغض النظر عن الرفاهيات المحدودة التى تمنحنا إياها ، وبغض النظر عما تهبنا من رفقاء، وبغض النظر عن الغني الذى تجود به علينا، وأنا متأكد أنك قد عرفت جيداً عدم جدوي مثل هذه الأشياء ، وحتى إن كانت لها جدوي فما قيمتها مقارنة بالسعادة التى وعدنا بها؟.

(٣٨) ميزة الترمّل القديس اغسطينوس FOTC

وقد طلبت منى الإرشاد في الصلاة ، لكني قلت كل هذا لأنك أرملة ثرية عالية المكانة، وأم لعائلة كبيرة لاتزال إلي الآن معك توقرك ، وأريدك أن تختبرى الإحساس بالأسي لكى تعرفي أنك لم تمتلكى بعد تلك الحياة ، حيث توجد التعزية الحقيقية المؤكدة، وهنا تتحقق كلمات النبى " اشبعنا بالغداة من رحمتك فنبتهج ونفرح كل أيامنا فرحنا كالأيام التى فيها أذللتنا كالسنين التى رأينا فيها شراً "(مز٩:١٤).

ومن ثم ، فلكى تواظبي علي الصلاة في النهار والليل إلي أن تنالين التعزية ، لا تنسي أنك تعيشين في أسي ، بغض النظر عن مقدار ما تتمتعين به من غنى كبير في الثروات الأرضية، فالرسول لم يعز هذه العطية لأية أرملة فهو يقول " ولكن التى هى بالحقيقة أرملة ووحيدة، فقد ألقت رجاءها علي الله وهى تواظب الطلبات والصلوات ليلاً ونهاراً. " (١تي٥:٥) أيضاً لاحظى بعناية ما يلي " وأما المتنعمة فقد ماتت وهي حية" (١تي٥:٦) لأننا نعيش في الأشياء التى نحبها ونسعى خلفها . تلك الأشياء التى نعتقد بأنها ستجعلنا سعداء ومن ثم فالذى يقوله الكتاب المقدس عن الغنى أقوله لك عن التنعّم" إذا زادت ثروتك لا يتعلق بها قلبك "، فإذا كثرت المتع لا تتعلّقى بقلبك عليها ولا تعتمدى كثيراً على حقيقة أنها لا تنقصك ، وأنها تخدم إشباعك بوفرة، وأنها تبدو منسابة من مصدر غنى وفير بالسعادة الأرضية. فعليك أن ترفضى هذه الأشياء في داخلك ، وأن تزدريها ، وعليك ألا تسعى خلف ما هو أكثر من الأشياء الضرورية لصحتك الجسدية ، حيث أنه لسبب الأنشطة الضرورية لهذه الحياة فإننا لا يجب أن نزدرى بالصحة الجيدة إلي أن "هذا الفاسد يلبس عدم فساد" (١كو ٤:٥). هذه هى صحّتنا الحقيقية الكاملة الغير منتهية التى لا تتجدد بالمتع الفانية ، حين تهن بسبب الضعف الأرضى بل تبقي عليها القوة السماوية، وهى تتجدد بواسطة عدم الفساد الأرضي ، فالرسول نفسه يقول " لأنه لم يبغض أحد جسده قط " (أف٥:٢٩) ويبدو

أيضا أن هذا هو سبب توبيخه لتيموثاوس لمغالاته في العقاب لجسده، وينصحه قائلاً "استخدم خمراً قليلاً من أجل معدتك. وأسقامك الكثيرة"

هذه هى المتع التى تكون في وسطها الأرملة ميتة حتى أثناء حياتها إذا عاشت بها ، بمعنى إذا كان قلبها متعلقاً بها ويتفكر كثيراً في البهجة التى تعطيها إياها ، فكثير من القديسين والقديسات وقفوا ضد كل طرق الثروات كمصدر للمتعة ، فتخلوا عنها بأن وزّعوها بين الفقراء ، وبهذه الطريقة كنزوا كنزاً في السماء ، أما أنت فإذا شعرت بأنك لا تستطيعين أن تسلكي نفس السبيل بسبب واجبك تجاه أسرتك، فإنك تعرفين نوع الحساب الذي يجب عليك تقديمه لله عن استخدامك لثرواتك ، لأنه " مَن مِن الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذى فيه. (١كو٢:١١) "لهذا السبب يجب علينا ألا نحكم في أى شئ قبل الوقت " (١كو٤:٥) حتى يأتى الرب الذي سينير خفايا الظلام ويظهر خفايا القلوب، وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله" (١كو٤:٥) فإذا كثرت المتع في حياتك ، فإنه جزء من واجبك كأرملة ألا تعلّقى قلبك بها خشية أن تذبل وتموت، فلكى تعيشى يجب أن يُرفع قلبك عالياً ، واحسبي نفسك بين أولئك الذين كتب عنهم " تحيا قلوبهم إلي أبد الآبدين" (مز٢٢:٢٦).

عرفت كيف تصلّين ؟ اسمعى الآن شيئاً عما يجب أن تطلبيه في صلواتك حيث أن هذه هي النقطة التى سألت نصيحتى عنها علي وجه الخصوص ، فلقد أثر فيك جداً ما قاله الرسول " لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغى (رو٨:٢٦) " وخفت أن تعانى أكثر بسبب صلاتك الفاترة من عدم الصلاة كلية ، وهنا يمكن أن أوجز نصيحتى قائلاً : صلِّ من أجل السعادة فهذا هو الشئ الذى نرغبه جميعاً ، فحتى أولئك الذين يعيشون حياة شريرة فاسقة لم يكن ليعيشوا بهذه الطريقة إذا لم يتخيلوا أنهم كانوا فعلاً سعداء ، ومن ثم فما الذى ينبغى أن نصلي من أجله أكثر من ذلك الشئ الذى

يرغبه الأشرار والأبرار ولكن يناله الأبرار فقط؟.

بعد ذلك فقد تسألينني : وما هي طبيعة تلك السعادة؟ انشغلت عقول فلسفية كثيرة بهذا السؤال وقضت أوقاتاً طويلة تتفكر فيه ، فكان الأقل نجاحاً في إجابته هم أولئك الذين أعطوا مجداً أقل وشكراً أقل لخالقهم، وعلي هذا لاحظى أولاً إذا ما كان علي الإنسان أن يوافق مع أولئك الذين يجعلون السعادة في اتّباع مشيئتهم الشخصية

حاشا لله أن نعتقد أن هذا صحيح لأنه ما الذى سيحدث إذا أراد شخص ما أن يعيش حياة شريرة ؟ ألا نستطيع أن نبرهن علي أن هذا الشخص بائس بمقدار السهولة التى تحقق بها غرضه الشرير؟ فحتى أولئك الذين يمارسون الفلسفة دون أن يعترفوا بالله قد أنكروا وجهة النظر هذه حيث أن أكثرهم بلاغة يقول " الآن انظر إلي بعض الآخرين الذين ليسوا فلاسفة تماماً ، بل يغرمون بالمجادلة الذين يقولون : "إن جميع أولئك السعداء هم الذين يعيشون وفقاً لميولهم ، لكنهم مخطئون لأنه ليس شيئاً سعيداً بالمرة أن ترغب فيما ليس صحيحاً ، ومع هذا فليس أكثر تعاسة أن تتمنى الحصول علي ما هو ليس صحيحاً من ألا تحصل علي ما تتمنى ". ما رأيك في هذه الكلمات ؟ ألم تتفوه بها الحكمة ذاتها من خلال شفتى إنسان ؟ نستطيع إذاً أن نقول ما قاله الرسول عن نبي كريت الخاص الذى قبل رأيه " هذه الشهادة صادقة"(تي١:١٣).

من ثم سعيد إذاً الذى لديه كل شئ يريده ولكن لا يريد الشئ الذى ليس صحيحاً ، ونحن حين نقبل هذا الاستنتاج لاحظى ما قد نتمناه لأنفسنا بدون خطأ، فمثلاً شخص ما يريد أن يتزوج ، وآخر يرغب أن يكبح نفسه عن الشهوات الجنسية بعدما فقد زوجته، وآخر يختار ألا يتمتع بأي من ثمار الزواج مع أنه متزوج ، ومع أنه قد يوجد شئ آخر أفضل من هذا هنا أو هناك، فنحن لا نستطيع أن نقول : إن أي واحد من هؤلاء يتمنى ما ليس صحيحاً ، ومن ثم فكون المرء راغباً في الأبناء كثمرة للزواج

يتضح بجلاء أنه يتمنى الحياة والصحة لأولئك الذين أنجبهم ، وحتى الأرملة العفيفة مستغرقة في تلك الأمنية ، أما أولئك الذين يرفضون الزواج ولا يرغبون في إنجاب الأطفال فيما بعد لا يزالون يتمنون الحياة والصحة لأولئك الذين أنجبوهم ، أما عفة العذارى فهي خالية من كل هذه الهموم، ومع هذا فلديهم أشخاص أعزاء يتمنون لهم الخير الوقتي ، إلا أننا حين نحصل علي هذا الخير لأنفسنا وللذين نحبهم أنستطيع عندئذ أن نقول : إننا الآن سعداء ؟ فربما كان لدينا شئ من الملائم أن نتمناه ، ولكن إن لم يكن لدينا شئ آخر سواء كان أعظم أو أفضل أو أكثر نفعاً لمنزلتنا الشخصية، فما زلنا بعيدين جداً عن السعادة.

هل اتفقنا إذاً علي أنه فوق الخير الوقتي يجب علينا أن نطمح لمناصب المنزلة والسلطة لأنفسنا ولعائلاتنا ؟ بالتأكيد من الملائم لنا أن نطمح لهذه الأشياء جميعها لذاتها ، وكذلك لأنها قد تفعل خيراً بأن تساهم في رفاهية من يحيون بموجبها ، إلا أنه ليس من الملائم أن نشتهيها بدافع الكبرياء الأجوف والغرور والتفاخر العقيم أو الزهو الضار ، ومن ثم إذا تمنينا لأنفسنا ولعائلاتنا فقط ما هو كان من ضروريات الحياة، فهذه الكفاية ليست رغبة غير ملائمة داخل كل من يتمناها فقط ، وليس أكثر منها وكل من يتمنى ما هو أكثر لا يتمنى هذا ، ولذلك فهو لا يتمنى بصورة ملائمة كما يقو ل الرسول " أما التقوى مع القناعة فهي تجارة عظيمة لأننا لم ندخل العالم بشئ وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشئ ،فإن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرّة تغرق الناس في العطب والهلاك لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذى إذا ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة " (١تي٦:٦-١٠) تمنى وصلي علي نحو صحيح وقويم كل من قال " لا تعطنى فقراً ولا غنى أطعمنى خبز فريضتى لئلا أشبع وأكفر وأقول

"من هو الرب" ولئلا أفتقر وأسرق وأتخذ اسم إلهي باطلاً " (أم٣٠ : ٧-٩). ومن المؤكد تستطيعين أن ترى أن الكفاية لا تشتهى لذاتها بل لإعالة صحتنا الجسدية وثيابنا وفقاً لمنزلتنا الشخصية مما يمكننا من أن نحيا مع الآخرين باحترام وبتقدير.

من بين كل هذه الأشياء تشتهى السلامة الشخصية والصداقة لأجل ذاتها في حين أن الكفاية من ضروريات الحياة عادة ما نسعى خلفها - حين يكون السعى علي نحو ملائم- من أجل السببين اللذين ذكرناهما ، ولكن ليس من أجل ذاتها. والآن فالسلامة الشخصية مرتبطة علي نحو وثيق بالحياة نفسها والصحة وسلامة العقل والجسد ، كذلك الصداقة أيضاً لا تحدّها الحدود الضيقة لأنهاتشمل كل أولئك الذين يستحقون محبتنا وعطفنا، ومع هذا فهى تذهب بسرعة أكبر إلى البعض وبسرعة أقل إلي البعض الآخر إلا أنها تصل إلي حتي أعدائنا الذين أوصينا أن نصلي من أجلهم ، وهكذا لا يوجد أحد في الجنس البشرى لا يستحق محبتنا سواء كانت رداً لتعاطف متبادل أم بفضل اشتراكنا في طبيعة واحدة ، ولكن أولئك الذين يحبوننا بالتبادل في القداسة والطهارة يمنحوننا الفرح الحقيقي، وهذه هى الخيرات التى يجب أن نصلي لكى نحتفظ بها حين يكون معنا ، وأن نحاول الحصول عليها حين لا تكون.

لكن هل هذه هى كل السعادة، وهل هذه هى كل الخيرات المتضمنة فيها ؟ أم هل يعلمنا الحق شيئاً آخراً يجب أن يفضل علي ما سواه ؟ فطالما أن تلك الكفاية وتلك السلامة الشخصية - سواء كانت سلامتنا نحن أنفسنا أم سلامة أصدقائنا - ما هي إلا خير وقتى، فعندئذ يجب أن نضحى بها لنضمن الحياة الأبدية ، وبغض النظر عما يمكن أن يكون حقيقياً بالنسبة للجسد فلا يمكن أن نعتبر الروح عاقلة إن لم تفضل الخيرات الأبدية علي الخيرات الوقتية ، لأننا نعيش حياتنا الوقتية بصورة مريحة فقط حين نستخدمها لننال الاستحقاق الذى به ننال الحياة الأبدية ، وهكذا فإن كل الأشياء المريحة

الأخرى التى نتمناها علي نحو صحيح يجب أن نعزوها بلا شك إلي تلك الحياة التى نعيش بها مع الله وبحياته ، وإذا كنا نحب الله بالدرجة التى نحب بها أنفسنا فإننا حقاً نحبه، هكذا أيضاً وفقاً لوصية أخرى نحب حقاً أقاربنا كأنفسنا إذا قربناهم إلي حب آخر مشابه لمحبة الله علي قدر ما نستطيع ، وبناء عليه فنحن نحب الله لنفسه ونحب أنفسنا وأقاربنا من أجله ، إلا أننا حتى عندما نعيش بهذه الطريقة دعونا لا نعتقد أننا قد حصلنا علي السعادة كما لو لم يتبق لنا شئ نصلي من أجله ، فكيف نستطيع أن نجد السعادة في الحياة حين نفتقد الحافز الوحيد للحياة الصالحة؟.

ما جدوى أن نتفكر في أشياء عديدة ونسأل عن الشئ الذى يجدر بنا أن نصلي من أجله خوفاً من أن نكون لا نصلي كما ينبغى ؟ أجدر بنا أن نقول مع صاحب المزامير "واحدة سألت من الرب وإياها ألتمس أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتى لكى أنظر إلي جمال الرب وأتفرس في هيكله" (مز٢٧:٤)، ففى السماء لا تتحقق (كل هذه الأيام) بالمجئ والذهاب، فبداية أحد الأيام ليست نهاية يوم آخر لأنها جميعاً لا نهاية حيث أن الحياة التى تمثلها هذه الأيام ليت لها نهاية ، وهذه الحياة الحقيقية علمتنا أن نصلي لكي ننال تلك الحياة المباركة ، وليس أن نصلي بكلمات كثيرة كما لو كان هذا يعنى أنه سيسمع لنا إن زادت كلمات صلواتنا ، فهو يعرف - كما قال الرب نفسه - ما نحتاج إليه قبل أن نطلبه منه ، ولهذا السبب قد يبدو هذا الأمر محيراً حيث أن الله نفسه يحذرنا من كثرة الكلام في الصلوات ، وفي ذلك فهو يحثّنا علي الصلاة بالرغم من أنه يعرف مقدماً ما نحتاج إليه قبل أن نطلبه منه، ومع ذلك فقد قال " ينبغى أن يصلي كل حين ولا يمل" (لو١٨:١) واستخدم مثال إحدى الأرامل التى أرادت أن تقتص من خصمها فأخذت في التوسل إلي قاضٍ ظالم مراراً وتكراراً حتى جعلته يصغى لها ليس بدافع من العدل والشفقة بل بسبب ضجره من إلحاحها (لو١٨:٢-٧)، وبهذه

الطريقة نتعلم كيف أن الله الرحيم العادل يصغى لنا حين نصلي بلا توقف حيث أن الأرملة - بسبب توسلاتها المتواصلة - لم يستطع حتى القاضى الظالم الشرير أن يعاملها بازدراء، انظر إلي الله كيف انه بطواعية وبرفق يشبع الرغبات الصالحة لأولئك الذين يعرف عنهم أنهم يغفرون خطايا الآخرين حيث أن تلك التى أرادت أن تنصف قد حصلت علي ما طلبت ، وأيضاً كان هناك ذلك الإنسان الذى أتى إليه صديقه في رحلة ولم يكن لديه ما يضع أمامه فأراد أن يقترض ثلاثة أرغفة من صديق (ربما يرمز هذا العدد إلي الثالوث)، فذهب إليه وأيقظه حين كان ينام وسط خدامه، وأخذ في التوسل بإلحاح وبإصرار حتى يحصل تماماً علي ما سأله ، وهكذا نفهم من هذا أنه إذا كان الإنسان الذى يوقظ من نومه يضطر إلي أن يعطى ليس عن طيب خاطر تلبية لمطلب ما، فإن الله الذى لا يعرف النوم والذى يوقظنا من النوم كي ما نطلب يعطى بسخاء أعظم (لو١١ : ٥-٨).

تحمل الفقرة التالية نفس الفكر " اسألوا تعطوا اطلبوا تجدوا اقرعوا يفتح لكم لأن كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتح له، فمن منكم وهو أب يسأله ابنه خبزاً فيعطيعه حجراً أو سمكة فيعطيه حية بدل السمكة أو إذا سأله بيضة أفيعطيه عقرباً فان كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا عطايا جيدة فكم بالحري أبوكم الذى في السموات يهب خيرات للذين يسألونه" (مت٧:٧-١١) ومن ضمن الأشياء الثلاثة التى يوصي بها الرسول فإن السمكة ترمز إلي الإيمان سواء بسبب ماء المعمودية أو لأنها لا تؤذيها أمواج هذا العالم ، أما الحية فهى الضد للسمكة ، لأنها استطاعت بالمكر والدهاء أن تقنع الإنسان بألا يؤمن بالله، أما البيضة فهى ترمز إلي الرجاء لأن الكتكوت ليس حياً بعد بل سيحيا فيما بعد ، لا يمكن أن نراه ولكن نتطلع إليه .." "لأن الرجاء المنظور ليس رجاء" (رو ٨:٢٤)، والعقرب هو الضد للبيضة ،لأن كل من

له رجاء في الحياة الأبدية ينسي الأشياء التى في الوراء ، ويتقدم نحو الأشياء التى في الأمام حيث إنه من الخطورة بالنسبة له أن ينظر للوراء ، بمعنى أنه يأخذ حذره من مؤخرة العقرب التي تهاجمه، والتى بها إبرة سامة في ذيلها، والخبز يرمز إلي المحبة "لكن أعظمهن المحبة" (١كو١٣:١٣) ومن بين أنواع الغذاء فإن الخبز بالتأكيد يفوقها جميعاً في القيمة ، والحجر هو الضد للخبز ، لأنه متحجر القلب ينبذ المحبة ، وربما كانت هذه الأشياء ترمز إلي شئ ما أكثر ملائمة ، ومع هذا فإن الذى يعرف كيف يهب عطايا صالحة لأولاده يحثنا علي أن نطلب وأن نسأل وأن نقرع.

حيث أنه يعرف ما نحتاج إليه قبل أن نسأله ، فإن عقلنا قد يضطرب بسبب معرفته بهذه الطريقة إذا لم نفهم أن ربنا وإلهنا لا يحتاج لأن نكشف له عما نريد، ومع ذلك فهو يرغب في أن نكشف له عن ذلك في صلواتنا كى ما نستطيع أن ننال ما الذى أعده ليعطينا إياه، وهذا في حد ذاته شئ عظيم جداً ، لكننا صغار ومحدودون بصورة كبيرة لدرجة أننا لا نستطيع استيعابه، ولهذا قيل لنا "كونوا أنتم أيضاً متسعين، لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين" (٢كو٦:١٣-١٤)، وبهذه الطريقة نحصل علي كل ما هو عظيم جداً مالم تراه عين لأنه ليس له لونٌ ، ولم تسمع به أذن لأنه ليس صوتاً ، ولم يخطر علي قلب إنسان لأن قلب الإنسان يجب أن يدخل إليه ، و كل هذا سنحصل عليه بمقدار وفير علي حسب قوة رجائنا وتوهج محبتنا.

من ثم نصلي دائماً برغبة ملحة في ذلك الإيمان نفسه والرجاء والمحبة ، ولكننا أيضاً نصلى إلي الله بكلمات في ساعات وأوقات محددة كى ما نشجع أنفسنا ونلاحظ مدى التقدم الذى أحرزناه في رغبتنا وكى ما نوقظ أنفسنا بصورة أكثر جدية من أجل زيادة هذه الرغبة ، حيث أنه كلما زادت حدة توهج الرغبة كلما زادت قيمة الأثر الذى ينتج عنها ، ولهذا السبب يقول الرسول " صلوا بلا انقطاع" (١تس٥:١٧) دعونا إذاً

نطلب ذلك دائمـاً من الرب الإله وأن نصلي دائمـاًمن أجله، لكن لأن هذه الرغبـة قـد تصبح فاترة بسبب همومنا وانشغالنا بالأشياء الأخرى ، فإننا ندعو عقلنا مرة أخرى إلى واجب الصلاة في ساعات محددة ، ونحث أنفسنا في صلواتنا إلي التركيز والإلحاح علي ما نطلب خوفاً بعد أن تبدأ رغبتنا في الفتور وتصبح بعد ذلك باردة كلية ومخمدة تماماً إن لم نجددها باستمرار ، وبناء علي ذلك فحين يقول الرسول " لتعلم طلباتكم لدى الله" (في٤:٦) لا يقصد بهذا أننا نجعلها فعلاً معروفة لله الذي بالتأكيد يعرفها جيداً قبل أن ننطق بها ، بل يقصد بأن نجعلها معروفة لنا قبل الله بواسطة صبرنا ، ولكن ليس أمام الناس بواسطة تفاخرنا ، أو ربما أن تعرف الملائكة الذين مع الله كي ما يقدمون صلواتنا لله ويستشيرونه حولها ، ويعودون إلينا بإجابته سواء علناً أم سراً وفقاً لرغبته التى يعرفونها ، وهكذا فأحد الملائكة قال لطوبيا "والآن بعد أن صليت أنت وسارة حملت صلواتك أمام سناء وجه الله ".

في ضوء هذا فإن الصلاة المطولة ليست شيئاً ممقوتاً أو عديم الجدوى حين يكون المرء حراً ، أى حين لا تمنعه التزامات الأعمال الصالحة الضرورية الأخرى ، مع أنه كما قلت ينبغى دائما أن نصلي برغبة القلب ، بيد أن الصلاة المطولة لا تعنى الصلاة بكلام كثير كما يعتقد البعض، فالرغبة الشديدة المتواصلة ليست مثل الكلام الكثير ، لأنه مكتوب عن الرب نفسه أنه قضى الليل كله في الصلاة وأنه " قضى الليل كله في الصلاة " (لو١٢:٦) وفي هذا لم يكن هدفه إلا أن يرينا نفسه علي الأرض كمؤيدنا المستعد ومع الآب الأبدى.

يقال إن الإخوة في مصر لديهم صلوات معينة يتلونها باستمرار ، ولكنها مقتضبة جداً وتقذف بسرعة مثل السهام كيلا يخبو الانتباه اليقظ الضرورى للصلاة ، ويصبح مثقلاً بسبب الفترات الطويلة، وبهذه الطريقة يوضحون علي نحو جيد أنه كامل،

كما أن هذه الانتباه لا يجب أن يثار إذا لم يكن من الممكن الإبقاء عليه ، هكذا أيضاً إذا كان يمكن الإبقاء عليه فلا ينبغى أن يتوقف فجأة ، الصلاة لابد أن تكون خالية من كثرة الكلمات ، ولكن ليس من التضرعات الكثيرة إذا ما استمرت الحماسة والعناية. كثرة الكلام في الصلاة معناه القيام بإنجاز جزء من العمل بكلمات غير ضرورية ، ولكن كثرة التضرع إلي الله معناه القرع برفع للقلب بطريقة مستمرة وخاشعة. وبصورة عامة ، فإن هذا العمل ينجز بالتنهدات أكثر من الكلمات ، بالدموع أكثر من الأقوال لأنه يضع دموعنا أمام مرأى منه وأنيننا ليس بعيداً عنه الذى خلق كل الأشياء بكلمته ، والذى لا يبحث عن الكلمات البشرية.

الكلمات إذاً ضرورية لنا كى ما نتيقظ ونتنبه إلي ما نسأل ، ولكن لا يجب أن نعتقد أن الرب محتاج إليها ، سواء كى ما يعلمها أو يتأثر بها ، ومن ثم فحين نقول: "ليتقدس اسمك " فإننا نوقظ أنفسنا لنرغب أن يحتفظ اسمه - الذى فعلاً مقدس - بقدسيته بين الناس أيضاً أى لا يُخزى ويصبح شيئاً ما يفيد الناس، لكن ليس الله وبنفس الطريقة، فحين نقول "ليأت ملكوتك " فهو سيأتي حتماً سواء رغبنا أم لم نرغب، ولكننا نثير رغبتنا في هذا الملكوت كى ما يأتى فينا وكي ما نستحق أن نملك فيه ، وحين نقول "لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك علي الأرض" فإننا نسأله الخضوع لأنفسنا كى ما تتم مشيئته فينا تحت كما في السماء بواسطة ملائكته ، وحين نقول "خبزنا كفافنا أعطنا اليوم" فبكلمة "اليوم" نقصد "في هذا الوقت" حين نطلب سواء تلك الكفاية التى ترمز إلي كل احتياجنا تحت اسم الخبز الذى هو جزء بارز منها ، أم حين نطلب قربان المؤمنين المقدس الضرورى في هذا الوقت لننال السعادة الأبدية وليس مجرد السعادة الوقتية ، وحين نقول " اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا" فإننا ننبه أنفسنا إلي كل ما نطلبه وما نفعله كى ما نستحق نيل الرحمة ، وحين نقول " لا

تدخلنا في تجربة" فإننا ننبه أنفسنا الى أن نطلب منه ألا يحرمنا من معونته ، وألا نستغرق في أية تجربة من خلال الانخداع ، وألا نخضع من خلال البلايا ، وحين نقول "نجنا من الشرير" فإننا ننبه أنفسنا إلي أننا لم نصل بعد إلي تلك الحالة السعيدة التى لا نعانى فيها من أي شر ، وحقيقة أن هذا التضرع قد جاء فى آخر صلاة الرب بواسطتها ليبين بوضوح أن المسيحى الذى يكتنفه أي نوع من أنواع الاضطرابات ينطق أنينه ويسكب دموعه فيها ويبدأ صلاته ويكملها وينهيها بها ، وبهذه الكلمات فمن الملائم أن نتذكر الحقائق المفهومة ضمناً لعقلنا فيما يتصل بذلك.

لأنه مهما كانت الكلمات الأخرى التى نقولها ومهما كانت الكلمات التى نطلقها بدافع من الحماسة في بداية تضرع ما كى ما نعرفه ، أو نقولها بعد ذلك كى ما نؤكد هذه الحماس ، فنحن لا نقول أى شئ غير موجود في صلاة الرب هذه إذا ما صلينا علي نحو مناسب وملائم. إلا أنه كل من يقول شيئاً في صلاته مما قد لا يتفق مع صلاة الإنجيل حتى وإن لم تكن الصلاة من النوع المحظور ، فهذه الصلاة جدية وأنا لست متأكداً من أنه لا ينبغي أن تتسمي محظورة حيث أن أولئك المولودين ثانية من الروح ينبغى أن يصلوا بطريقة روحية (هنا يشرح أغسطينوس الموضوع الذى يبحثه في تعليقه المقتضب علي الصلاه الربانية بواسطة سلسلة من الأمثلة من التضرعات المتضمنة بوضوح في الكلمات التى علمها لنا المسيح).

الآن تعرفين أننى لا أفكر فقط في طبيعة صلاتك بل أيضاً في هدفها، وأنتِ قد عرفت هذا - ليس منّى - بل من الله الذى تلطف ليعلمنا جميعاً أن السعادة هى الشئ الذى يجب علينا أن نطلبه ونسأله من الرب الإله ، هذا وقد قيلت آراء كثيرة عن ماهية السعادة ، ولكن لِمَ ينبغى علينا أ ن نتحول إلي كل هذه الآراء الكثيرة؟ فكم هي مركزّة وحقيقية كلمات الكتاب المقدس، كتاب الله " طوبي للأمة التي الرب الهها"

(مز٣٣: ١٢)، ولكي ما ننتمى إلي ذلك الشعب ولكي ما ننال رضاه والحياة الأبدية معه "وأما غاية الوصية فهى المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء " (١تي١: ٥) وبين نفس هذه الأشياء الثلاثة فإن الرجاء وضع من أجل ضمير بار " الإيمان والرجاء والمحبة " هذه الثلاثة تقود الروح المصلية إلي الله أي الروح المؤمنة الراغبة المملوءة رجاءَ، التى تصغى إلي ما تطلبه من الرب في الصلاة الربانية ، الصوم والامتناع عن الملذات الأخرى للشهوة الجسدية، مع الاهتمام الواجب بصحّتنا ، وتقديم الصدقات، علي الأخص كلها أشياء مساعدة للصلاة كى ما نستطيع أن نقول " في يوم ضيقى التمست الرب يدى في الليل انبسطت ولم تخدر"، (عند هذه النقطة يستخدم أغسطينوس تأكيد بولس الرسول في رومية ٨ : ٢٦ "لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغى " ويحاول أن يفسر هذه الآية مكرراً بعضاً من الموضوعات الأولي التى ذكرها في رسالته).

فكّرى في هذا الموضوع كله ، وإذا أعطاك الرب أية فكرة أخري فيما يتعلق بهذا الأمر لم تخطر ببالي من قبل ، أو ربما تكون طويلة جداً عليّ لدرجة يتعثر عليّ توضيحها ، فجاهدى في صلواتك لتقهرى هذا العالم ، صلّي برجاء وبإيمان وبمحبة ، صلّي بإلحاح وبخضوع ، صلّي كالأرملة في مثل المسيح لأنه مع أن عهد الصلاة يرتكز علي جميع أعضائه، أى كافة أولئك الذين يؤمنون به والذين اتحدوا بجسده ، فإنه كما علمنا أن تكريساً أكثر خصوصية وجدّية قد فرض علي الأرامل كما نرى في كتابه المقدس ، فقد كان هناك امرأتان لهما نفس اسم حنة المبجل ، إحداهما كانت متزوجة وولدت صموئيل المقدس ، أما الأخرى فكانت أرملة وهى التى تعرّفت علي قديس القديسين حين كان لا يزال طفلاً . المتزوجة كانت تصلي بروح مثقلة وقلب منكسر لأنها لم يكن عندها أولاد فأعطى لها صموئيل استجابة لصلواتها فقدمته لله تماماً كما

تعهدت في صلواتها . من الصعب أن نرى كيف أن صلواتها تتفق مع الصلاة الربانية باستثناء ربما في هذه الكلمات "نجنا من الشرير" لأنه يبدو أنه لم يكن شراً ضئيلاً أن تكون متزوجة وتحرم من ثمرة الزواج حين يكون الغرض الوحيد من الزواج هو إنجاب الأطفال ، ولكن لاحظي ما هو مكتوب عن الأرملة حنة ،وأنها "لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهاراً " (لو٢:٣٧)، وكما ذكرت أيضاً فإن الرسول يتحدث عن نفس المغزى" ولكن التى هى بالحقيقة أرملة ووحيدة فقد ألقت رجاءها علي الله وهى تواظب علي الطلبات ليلاً ونهاراً" (١تي٥:٥). وحين طلب منا الرب أن نصلي كل حين وألا نمل تحدث عن الأرملة التى جعلت القاضى الظالم الشرير يصغى لشكواها بواسطة توسلاتها المتواصلة، ومن ثم فإنه من السهولة بمكان أن يفهم من كل هذا كيف أن الأرامل - أكثر من كل الآخرين - لديهن واجب تكريس أنفسهن للصلاة حيث استقى مثالاً من الأرامل أنفسهن ليشجعننا جميعاً علي أن نحب الصلاة بيد أنه .عند إجراء ممارسة بمثل هذه الأهمية فأية خصائص للأرامل تم استبعادها باستثناء الفقر والوحدة ، من ثم فهى بالتأكيد تستودع ترملها لله حاميها بالصلاة بلجاجة واستمرار ، صلي إذاً تماماً مثل الأرملة التى أثنى عليها المسيح، مع أنك لم تر بعد ذلك الذى تطلبين مساعدته. ومهما كانت ثروتك صلّي مثل امرأة فقيرة لأنك لم تحصلي بعد على الثروة الحقيقية للعالم المزمع أن يأتى حيث لا تخشين أية خسائر ، ومع أنك لديك أولاد وأحفاد وأسرة كبيرة، صلي كأرملة وحيدة كما وضحت سالفاً ، لأن كل الأشياء الوقتية زائلة حتي وإن بقيت معنا إلي نهاية حياتنا كنوع من المواساة ، أما أنت فمن جانبك فإن طلبت واستطبت الأشياء التى بأعلى ، وإذا تطلّعت إلي الأشياء الأبدية الأكيدة - طالما أنك لا تملكينها- فإنه ينبغى عليك أن تنظرى لنفسك كأرملة وحيدة حتى وان كان كل أفراد أسرتك في أمال ومكرسين لك ، كذلك ينبغى علي كنّتك الخاشعة أن تنظر لنفسها علي أنها وحيدة، وكذلك كافة الأرامل والعذارى اللاتي يجتمعن بأمان تحت سقفك، لأنه

كلما ازدادت درجة الورع التى تحكمين بها بيتك كلما ازدادت درجة الجدّية التى ينبغى عليكن أن تصلين بها بلا انشغال بالأمور الدنيوية ، باستثناء ما تطلبه المحبة الأسرية.

سوف تتذكرين بالتأكيد أن تصلّي بيقظة من أجلي ، لأنى لا أريدك - بسبب تقديرك للمركز الذى أشغله - أن تحرمينني من معونة أعرف أنها ضرورية لي ، فقد كان بيت المسيح يصلي من أجل بطرس وبولس ، وأنت تسّرين لأنك تنتمين لبيته، ولا يوجد أى وجه مقارنة بين احتياجى لصلاة الإخوة ، وبين احتياج بطرس وبولس ، تنافسن بعضكن مع بعض في الصلاة في منافسة متبادلة مقدسة ، لأنكن بهذه الطريقة لن تتنافسن ضد بعضكن البعض بل ضد الشيطان عدو كل القديسين ، لتفعل كل منكن ما تستطيع في الصوم والسهر وفي كل شكل آخر من أشكال النسك الجسدى التى تساعد الصلاة، وإذا كانت إحداكن لا تستطيع إلا أن تفعل أقل من هذا حسناً، فلتفعل ما تستطيع طالما أنها تحب في أختها ما لا تفعله هى نفسها، لأنها لا تستطيع، وبهذه الطريقة فإن الضعيفة لن تكبح القوية التى بدورها لن تضغط علي الضعيفة، فأنتن تدين بضميركن لله "لاتكونوا مديونين لأحد بشئ إلا بأن يحب بعضكم بعضا " (رو١٣:٨). "أفيسمع الله صراخه" (أي٢٧:٩) والقادر أن يفعل فوق كل شئ أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر" .

٢ - بولينوس من بيللا : قصيدة شكر

: POULINUS OF PELLA

إن اسم بولينوس Poulinus معروف في قائمة الكُتّاب المسيحيين الأوائل، وهذا المؤلف الذى نحن بصدد التحدث عنه ولد في مقدونيا (بيللا) في نهاية عام ٣٧٦

بعد الميلاد تقريباً ، وحين بلغ الطفل الشهر التاسع انتقلت الأسرة إلي قرطاج حيث مارس والده مهام منصبه كالقنصل الرومانى لأفريقيا ، وحين بلغ عامه الثالث كان بولينوس قد زار روما وبلاد الغال وبوردو التى هى موطن أجداده . ويبدو أنه يوجد دليل قوى يدعم ما قاله بعض الدارسين من أن بولينوس هو حفيد أوسونيوس Ausonius الشاعر والخطيب الرومانى.

الأسطر التالية عبارة عن مقتطفات من Eucharisticos (قصائد الحب والشكر) ، وهى قصيدة سيرة ذاتية نشرت في عام ٤٥٩ بعد الميلاد ، ويبدو أن هذا العمل مبنى علي أساس سجل شخصى دوّن فيه المؤلف كافة الأحداث الهامة في حياته ، وكما يبين عنوان القصيدة فإن بولينوس قصد أن يكون هذا العمل تعبيراً عن امتنانه لله عن النعم التى منحها له طوال الثلاثة والثمانين عاماً من حياته ، وفي حين أن هذا النوع من السيرة الذاتية لم يكن معروفاً تماماً في بلاد الغال، فيبدو أن بولينوس قد ألهمته "اعترافات " القديس أغسطينوس فعبّر عن إيمانه وشكره لله بدلاً من أن يقدم تفصيلاً دقيقاً عن حياته.

كمثال علي الوصايا حول الصلاة فإن المقاطع التالية تظهر بوضوح كلا من وسيلة التأمل اللاهوتى في التجربة الشخصية ، وكذلك تعبيراً عن صلاة الشكر لإرشاد العناية الإلهية وحمايتها لنا في حياتنا المسيحية.

قصيدة شكر صاغها بولينوس ٣٩

مقدمة :

أعرف أنه يوجد بعض المشاهير الذين تركوا للأجيال القادمة وصفاً لأعمالهم اليومية بغرض أن تبقى كتأكيد لخلود منزلتهم ومجدهم ، والخصائص البارزة لهؤلاء المؤلفين تضعهم بعيداً جداً عنى تماماً كما يفعل بُعد الزمن وهكذا فإن قصدى من كتابة هذا العمل الضئيل عن نفس الموضوع لا يمكن أن يقارن بأية طريقة لهم ، فأنا لم أقدم أية إنجازات تستحق التمجيد ، وكذلك ليس لديّ الثقة الكافية في قدراتى ككاتب لكى أضع نفسي بسهولة في موضع منافسة مع أى منهم.

ومع ذلك فليست لدىّ أية مشكلة فى الاعتراف بأن الرحمة الإلهية قد قادتنى لأطلب التعزية بطريقة تلائم كهلاً ذا ضمير مستريح وذا قلب يضمر هدفاً ورعاً ، فالسلام قد أتى إليّ بعد فترة طويلة ذبلت خلالها من وطأة الحزن نتيجة السكون القسرى، وهذا الهدف إنما أتى إليّ من اعتقادى بأننى أدين بحياتى كلها لله ، ومن ثم فقد أردت أن أبين أن كل عمل في حياتى كان مكرساً لخدمته، ولهذا فقد فكرت في التأمل في كل تلك السنين التى منحتنى إياه رحمته وصلاحه، وفي كتابه عمل ضئيل عن تقديم الشكر تمجيداً له، وهذا العمل مبنى علي أساس ما قد دونته في سجلي.

أنامتأكد أن بر الرب الرحيم قد أظهر لي لأنى حتى في طفولتي عرفت تلك الأفراح العابرة الممنوحة للبشر، وأعرف كذلك أن عنايته الإلهية المحبة قد أظهرت نحوى برأفة، ففى المعاناة الدقيقة الناتجة بسبب التجارب المستمرة من ذلك النوع أو ذاك، علمتنى العناية الإلهية بوضوح بعض الدروس المفيدة ، أولاً ينبغى ألا أتعلق كثيراً

(٣٩) SC 209

بسعادة هذه الحياة لأننى أعرف أنها زائلة ، ثانياً ألا أضطرب كثيراً بشرور الحياة حيث أنه في أثنائها علمتنى التجربة أن معونة الله المحبة قادرة علي أن تساعدنى.

بناء عليه، فإذا وقع عملي هذا في يد أى شخص فإنه يجب أن يدرك من عنوانه ان هذا التأمل البسيط مكرس لله الكلي القدرة وكان قصدى منه هو أن أشغل وقت فراغى وليس مجرد أن أقدم مادة تسلية لشغل فراغ الآخرين، لأننى فعلاً أفضل أن تسر شهادة التكريس هذه الله – مهما كانت قيمتها – أكثر من أن يعترف بها الدارسون كقصيدة متوسطة الجودة، ومع هذا إذا تابع أحد القراء المهتمين لديه وقت فراغ كبير تابع كشف قصتى وسرد تجربتى فأنى أطلب شيئاً واحداً الا وهو ان وجد هذا القارئ في أفعالي أو في أشعارى شيئاً يستحق الإطراء فإنى اطلب أن يطرحه في طىّ النسيان – بلا إدانة – بدلاً من أن يتم تحويله إلي حكم الأجيال القادمة كلها (١١-١-٢٠).

حين أشرع في كتابة مهمة

قصة السنوات التى انقضت الآن ،

وفي وصف مسار الأحداث

التي عشتها من خلال أيام الزمان المنتهية حتي الآن

أصل إلي نهاية حياة مدّتها مشكوك فيها

أصلي لك يا الله يا كلي القدرة أن تساعدنى في عنايتك بي

إذا لقى هذا العمل استحسان لديك ألهمنى وعضدنى

امنح لعملي هذا – نتاجى – أن يولد

امنح لأمنيتى أن تحقق كى ما أتحدث

عن كل بركاتك بفضل معونتك ،

إليك أدين بكل لحظة في الحياة منذ البداية
حين كنت أتنفس في هواء الوجود المضئ
بفضل حمايتك لي اجتزت عواصف وأعاصير
عالم معاد متقلب
وحين انقضى الأسبوع الثانى عشر من عمرى
منذ ذلك الحين أحصيت ستةَ فصول محرقَة للشمس
حرارة الشمس وكذلك العديد من فصول الشتاء الباردة
تلك هى عطيتك لي ، يا إلهى أنت تجدد
دورة السنوات المنقضية وتعيد ثانية
مسار الزمان وتجعله يخطو ثانية الطريق التى قطعها
لتمنحنى إذاً الوقت والفضل
لأحتفى بكل صلاحك ولأنشد لأعمالك الحنونة
في قصيدة تحمل كلماتها شهادة عن كل ما أشع ربه
من شكر لك ، وهذا الشكر حتى وإن كان متوارياً في قلبي
إلا أنه معروف لديك بالفعل وأنا لا أشك في ذلك
لكن صوتى – مدركاً للسر – ينتزعه
من أعماق روحى الساكنة ، ويحمل مصدر
آمالي و أمنياتى ينساب الذى ينسكب الآن بوفرة.

(يتذكر بولينوس السنوات الأولي في حياته وطفولته في بوردو Bordeoux ودراسته لسقراط وهوميروس وفيرجيل Socrats, Homeros , Fergil ويبدو أنه منذ البداية كان يواجه بعض الصعوبات في اللغة اليونانية، فهو يعلن قائلاً : "الدراسة ثنائية اللغة تناسب فقط العقول المتفوقة ... أدرك الآن أنها استنزفت الموارد الضئيلة من ذكائى ". ويعبر عن ندمه لأن والديه اللذين شاهدا تكوينه وميله المسيحي منذ البداية لم يشجعاه علي الاستمرار في اتّباع النداء الديني في شبابه.(١١-١٠٠-١١٢)

لكن الآن أستطيع أن أرى قيمة حياتى
مصير الطريق التى اتبعتها كانت مطابقة لأهدافك
وهكذا فإنها حققت خلاصى
يا إلهى الأبدى يا كلي القدرة يا حاكم الكل
أنا خاطئ جددتنى نعمتك التى تمنح الحياة
أنا مدين لنعمك الأعظم كثيراً
من أية خطايا ارتكبتها
لأني أعرف أن كل ما هو خاطئ و محظور
وما فعلته حين كنت تائهاً ضالاً في فترات حياتى الفاسقة
أعرف أنه قد غفر لي كلية بسبب صلاحك
أعرف أننى فشلت وهأنذا آتى إلي عدلك طالباً رحمتك
إذا كنت قد تجنبت الخطايا الأكثر شراً
إذا كنت قد حُفظت من الذنوب الأكثر فسقاً

فهذا كله بفضل نعمة ربى

أنت يا من خلصتنى وحفظتنى.

(يستمر بولينوس في سرد أحداث حياته، ففى سن الخامسة عشر أصيب بمرض خطير ربما كان سببه هر جهوده المركزة لإسعاد والديه عن طريق التفوق في دراساته). ولكي ما يساهما في عودته لصحته فقد حقق له والده جميع نزواته ورغباته : فرس رائع، ومعلم فروسية نبيل ، وكلب ساحر، وصقر ، وكل لوازم الصيد ، بالإضافة لهذا فقد كان هناك بعض المغريات الأخرى ، فهو يدعى بأنه لم يغو امرأة قط رغماً عنها ، وكذلك لم يغتصب أياً من زوجات الآخرين، فعلاقاته الغرامية لم تكن أبداً مع أية سيدة حرة بل فقط مع خادمات بيته، فهو يكتب ويقول " كنت أفضل أن أتهم بارتكاب خطأ وليس جريمة ، وكنت أخاف أن أفقد سمعتي الطيبة ". وضعت إحدى السيدات اللاتى كان يعرفهن، طفلاً إلا أنه مات بعد ولادته مباشرة ، وهذا الحدث بالذات أثناه عن مواصلة ما كان من المحتمل أن يصبح حياة فسق فتزوج في سن العشرين ، وكرس نفسه من أجل المسئوليات الجادة التى ألقيت علي عاتقه في ذلك الوقت). (٢١٨-٢٠٢،١١)

كنت أطلب حياة متواضعة هادئة أكثر من كل شئ

بعيدة عن المحاولات الطموحة

كنت أحتاج إلي منزل منسق علي نحو جيد به حجرات

كبيرة جذابة

وإلي مائدة سخية بها أطباق كثيرة

بغض النظر عن أى وقت في العام نحن
وإلي حاشية من الخدام صغار السن وأثاث فخم
عدده كاف وملائم لاستخدامات عديدة
وإلي أواني مائدة فضية تتفوق في قيمتها علي وزنها
وإلي حرفيين موهوبين في حرفتهم وصناعتهم
علي أتم الاستعداد أن يصوغوا إلي درجة الكمال كل أوامرى
كان لدى اصطبلات مملوءة بخيول ممتازة
وعربات رائعة مصممة للسفر براحة وأمان
ومع هذا كان سعيى من أجل زيادة ممتلكاتى
أقل من محاولتي للحفاظ عليها ، فلم تكن بي رغبة في مزيد من الثروات
وكذلك لم أشته مظاهرالحفاوة ، بل سعيت فقط للحياة الطيبة
شريطة أن أحصل عليها بلا تكلفة باهظة
وأن أحتفظ دائماً بسلامة سمعتى الجيدة

(انقطع تعلق بولينوس بوالديه بوفاة أبيه ولم تجلب له الثروة المتزايدة إلا المزيد من الهموم ، وتعرضت ممتلكاته للسلب من جانب القوطيين الذين كانوا يعيشون بسلام في بوردو Bordeaux وتبع ذلك فترة غارات طويلة علي أيدي البرابرة ثم تلي ذلك خيانة بعض الأصدقاء).

لكن أنا إن حكمت علي نحو ملائم - ياسيدى المسيح - فيجب أن أبتهج
لأن مصيرى كان تماماً كما شئت أنت

والآن ها أنت تعدنى بخيرات تفوق كثيراً
تلك التى كنت ابتهج بها حين كنت أملكها
بالتأكيد قد أغنانى عطفك وأوفى بأمنياتي
في تلك الأيام كان بيتى متألقاً بالفخامة
في حين أن نعماً كثيرة وأمجادا باهرة غمرت
أولئك الذين يحيطون بي ، كذلك لم تعرف
مجموعة ضيوفي أبهة أقل من هذا واليوم هأنذا أندم
علي القيمة التى علقتها علي تلك الخيرات التي سرعان ما تزول
وفي نهاية المطاف ، وبعد أن تقدم بي العمر أحكم علي نحو عادل مدركاً
أنه كان من أجل صالحى أن أنتزع كل شئ منى
وبعد فقدان تلك الثروات الأرضية القابلة للزوال
تعلمت أن أطلب بالحرى تلك الثروات التى تدوم للأبد
أعلم أن معرفتي هذه كانت متأخرة بيد أنه ليس أى وقت
متأخراً عندك أنت يا إلهى يا من لا يعرف وجودك أية نهاية
ويامن لا تعرف رحمتك أية حدود
أنت فقط تعرف كيف تمد يد العون بطرق لا نعلمها
وأنت تستبق تنفيذ رغبات كل أولئك الذين يأتون
أمامك بأعدادهم الغفيرة، وحتي قبل أن نسأل
تمنحنا التأكيد بأن الأشياء الصالحة ستكون لنا

فوق مدي سؤالنا
وحين لا نعرف ما ينبغي أن نطلبه لأنفسنا
ترفض أن تمنح الطلبات التى تفوق العدد
ولكن إلي أولئك الذين يعرفون كيف بفضلون عطاياك
علي الأشياء التي يريدونها فأنت تتلهف لتمنحهم
كل ما يعمل من أجل خيرهم.

(حين بلغ عامه الخامس والأربعين تعرض بولينوس لتحول جذرى عميق قاده إلى التطلع إلى حياة الرهبنة، إلا أنه حين أدرك مسئولياته تجاه ولديه وأمه وزوجته وأمها بالإضافة إلى خدام بيته اختار بدلاً منها أن يعيش وفقاً للقواعد النسكية تحت توجيه "القديسين الذين أعانوني بنصائحهم" (*) ، أصابت هذا المسيحى المؤمن محن أخري ، وكان أقساها فقدانه لكافة أفراد أسرته بموتهم، وتلي ذلك فقدانه لممتلكاته ومقتنياته ، وحين بلغ الستين من عمره اعتزل إلي مارسيليا Marseillea ليعيش في بساطة واتضاع وفقر ، وفي ذلك الوقت كانت المساعدات التي يقدمها له معارفه الأثرياء من الأشياء المحرجة بالنسبة له، فوجد نفسه ممزقاً بين قبول تلك المساعدة البشرية ، وبين تسليم نفسه بالكامل للعناية الإلهية). (١١، ٥٦٤-٦١٦).

ومع هذا لم تتركنى فترة طويلة لشكوك ذلك
النوع من الحياة لتقهرني

(*) في الأيام الأولى من تاريخ المسيحية كان يمكن للانسان المتزوج أن يسلك حياة النسك والزهد (الرهبنة) ولكن بموافقة زوجته

يا إلهى بدون أن أسأل قررت أنت
أن تهبنى التعزية والسلوان بلا إرجاء
أنت لا تتوقف عن الاهتمام بي فتمنحني الدواء
الذى يقوينى في شيخوختى وحين أضعف
نتيجة للأمراض القديمة
الآن أنت تجدد قوتى ، لقد أوضحت لي
إننى يجب ألا أتطلع أبداً فيما بعد إلي
أى عائد من إرثى ، لقد فقدت ملكية
حتى تلك الأشياء التى كنت أمتلكها في فقرى
في مارسيليا
فقط لأنها كانت فى عهدة الآخرين الذين كنت
أعتمد عليهم
وعندئذ ، وبإيعاز منك عرض عليَّ قوطى لا أعرفه
أن يشترى مقداراً ضئيلاً من الممتلكات
التى كانت بحوزتى فيما مضى فأرسل لي الأموال من تلقاء نفسه
ولم تكن بالتأكيد القيمة الحقيقية للأرض
ولكنى أعترف أنى قد تلقيت ذلك المبلغ بفرح
الذى بفضله تمكنت من دعم بقايا الثروة المُدمرة
ومن منع أن يُجرح كبريائى مجدداً

وفي الفرحة التى جاءت مع هذا الفضل العظيم
مدين لك أنا مرة أخرى يا إلهى العظيم
ومرة أخرى أدين لك بشكر يجب أن يفوق
كل الامتنان الذى عبرت عنه لك في الماضى وأكثر
هذا العمل الذى كتبته ملئ بالكامل
بالإعلان المهيب عن شكرى
ومع أن إطنابى قد تسبب في إطالته بهذا الشكل
وحتي مع أنه ينادي بنهاية لمساره
فإن حبى الشديد لا ينضب فأنا لا أستطيع أن أتوقف
عن تقديم الإجلال الذى تستحقه أيها المسيح
أعرف أنه يوجد خير واحد فقط
يجب عليّ أن أمتلكه وأن أريده من كل قلبي
وهو أنه في كل مكان بلا استثناء
وفي كل الأوقات جميعها
أن أكون قادراً علي الاحتفاء بك بكلماتي
وفي صمتي أن أحتفظ بك حاضراً في عقلي
ومن ثم فحيث إننى أدين بنفسي وبكل ما أملك
لك يا إلهى الصالح المحب
فقد بدأت هذا العمل معك ، وحيث إننى وصلت لنهايته

فأنى أيضاً أكرس خاتمته لك

لقد صليت لك بلجاجة مراراً وتكراراً وهأنذا أتضرع إليك

وبحماسة أكبر

الا تجعلنى أرى شيئاً أقسي من الموت نفسه

في حياتى التى أعيشها الآن في شيخوختى

ليس من اليسير لي الآن أن أميز

الشئ الأفضل لي الاحتفاظ به في هذا الخصوص

بالإضافة إلي ذلك فأيا كانت مشيئتك لي

في هذه اللحظة الأخيرة أتضرع إليك أن تمنحني روحاً

لا تخشى أي شر وعضدنى بعطية قدرتك

وبهذه الطريقة وحيث إننى عشت فترة طويلة خاضعاً

للقوانين المقبولة لديك ، وحيث إنني أجاهد لأصل

إلي الخلاص الذى وعدت به ، امنحنى ألا أخاف

الموت أكثر من هذا

- ذلك الموت الذى يخضع له كل عمر-

في ذلك الوقت الذى تقربني شيخوختى إليه

عند خشيتى من مخاطر هذه الحياة غير الأكيدة

امنحنى ألا أتعذب من الخوف من هذه الشرور

التى أعرف أننى أستطيع تجنبها إذا دافعت عنى أنت يا إلهى

كم أتمني أن يهبنى رجاء رؤيتك أيها المسيح
تلك الراحة العذبة، كم أتمني أن تتبدد شكوك الكرب
بواسطة اليقين المرجو
بغض النظر عن مكانى وطالما أننى
ألبس ذلك الجسد الفانى فأنا ملك لك
يا من تنتمى إليه كل الأشياء
كم أتمني أن أعرف بالتأكيد أنني- بمجرد تحررى
من كل قيود العالم -
سوف أجد الحياة من جديد
في مكان في جسدك.

٣- يوحنا كاسيان John cassian

المؤتمر الأول لإسحق Isaac رئيس الدير "حول الصلاة"

غالباً ما لا يعتبر يوحنا كاسيان من آباء الكنيسة مع أنه عاش في نفس تلك الحقبة ، رسمه العظيم يوحنا ذهبي الفم شماساً إلا أنه بالتأكيد يعتبر "أب" للمسيحية الروحية ، والرهبانية، بعدما تعلم من النسّاك في الصحارى المصرية،.ومن تجربته الذاتية، كرئيس للدير الذى أسسه في مارسيليا (عام ٤١٥ بعد الميلاد).

النص التالي يعرض لنا مقتطفات من " المؤتمر ٩ " من عمله "collationes"وهو مبنى علي أساس المؤتمر الأول الذى عقده إسحق رئيس الدير حول الصلاة، ومع أن هذه

الوصايا كانت موجهة لجماعة من الدير بصورة أساسية إلا أن المختارات التالية يمكن أن تدرك علي الفور علي أنها رسالة موجهة إلي كل المسيحيين.

[٤٠]... الصرح الكامل من الفضائل المجتمعة يوجد لغرض واحد فقط ، ألا وهو أن نصل لدرجة الكمال في الصلاة، وبدون هذا الإنجاز النهائي - الذى به تجتمع الأجزاء المنفصلة سوياً داخلنا لتصبح كل موحد - فلن يوجد أى أساس أو ثبات لصلواتنا ، لأنه فعلاً بدون الفضائل فإن سكينة الصلاة التى نناقشها لن يتم الحصول عليها ، وكذلك لن تتحقق بالكامل، ومن ناحية أخرى فإن الفضائل التى هى أساس الصلاة لن تصل أبداً إلي درجة الكمال بعيداً عنها.

لهذا السبب فإنه مناف للعقل أن نشرع من البداية في مناقشة ملائمة للصلاة في كمالها بدون أي تفسيرات تمهيدية ، فالصلاة تقتضى ضمناً ممارسة كل الفضائل ، ومن ثم فليس أمامنا خيار إلا أن نفحص - بصورة منتظمة -تلك العوائق التى يجب أن تزال بالإضافة إلي الترتيبات الضرورية الأخرى ليتأكد نجاحنا في مسعانا ، وعلي غرار مثال الإنجيل يجب أولاً أن نحسب تكلفة مشروعنا ، وبعد هذا نجمّع باجتهاد كل ما يلزم لبناء هذا البرج الروحى الشامخ ، وهنا أكرر ثانية أنه حتى وإن تم تجهيز المواد فإنها ستصبح بلا جدوى بدون العمل التمهيدى ، فهى بذاتها لا تستطيع أن تدعم قمة الكمال الممجدة ، ومن ثم يجب علينا أن نشرع في مهمة تخليص أنفسنا من كل رذائلنا وتنقية روحنا من الحطام والدمار الذى سببته رغباتنا ، ثم بعد ذلك نضع الأساسات المتينة من البساطة والاتضاع علي أرض قلبنا الصالحة الثابتة ، أو بالحرى علي الصخرة القوية التى يتحدث عنها الإنجيل ، وهناك فإن البرج الذى سيرتفع بفضائلنا سوف يتم تأسيسه بالتأكيد ، وحين يطمئن إلي قوته الذاتية سوف يصل إلي عنان السماء.

٤٠) النص SC 54, 40 الناشر ، Dom E. Pichery
C SE L الناشر Petschoniz

إذا شُيد هذا البرج علي مثل هذا الأساس، فلن يتزعزع أو يسقط ، لتأتِ عواصف الرغبات وسيول الإضطهاد الجارفة ، لتثور القوى المعادية والأعاصير الشديدة ولتطلق عنان غضبها ، وهنا أقول إن تأثيرها لن يستطيع حتى أن يضعفها.

لكى تصل الصلاة إلي درجة الحماسة والطهارة التى ينبغى أن تميزها ، فإنها تطلب منا أمانة كاملة في عدة نقاط ، أولاً يجب أن نتغلب كلية علي قلقنا فيما يتعلق بالجسد ، بعد ذلك فإن الاهتمامات، بل أكثر من هذا فحتي تذكر أي أمر يشغل أو يمتص اهتمامنا يجب أن يُطرد تماماً، وبعد هذا ينبغى علينا أيضا أن نكف عن الافتراء وتشويه السمعة والحديث التافه والنميمة والكلام الأحمق ، وأهم شئ أن نستأصل جذور الغضب والحزن ، وأن ننزع بلا رحمة لب شهوة الجسد ومحبة المال، ،وبمجرد أن تنزع هذه الرذائل وما يرافقها - حتى تلك التى لا تراها العين البشرية - ويتم تدميرها بالكامل ، وبعد أن تبدأ عملية التطهير التى وصفناها ونمضى علي طريق العفة والبساطة والبراءة ، نستطيع عندئذ ان نرسي الأساسات الراسخة للاتضاع العميق ، وبهذه الطريقة يصبح البرج راسخاً وتصل قمّته العالية إلي عنان السماء، وعندئذ نستطيع أن نشيد البيت الروحى للفضائل، وأخيراً اكبح روحك من السعى وراء الأفكار المتمردة أو المتقلبة كى ما تستطيع أن تبدأ في الصعود تدريجياً إلي التأمل في الله وفي الحقائق الروحية.

حقاً إن كل شئ يشغل عقولنا قبل أن نبدأ وقت الصلاة ، حتماً سوف يجعل الذاكرة عرضة للسرحان أثناء صلاتنا ومن ثم فيجب علينا أن نحاول أن نكون قبل الصلاة ما نريد أن نكون ، أو نفعله في الصلاة فمواقف وأفكار قلوبنا أثناء الصلاة تعتمد علي المرحلة التى كنا فيها قبل الصلاة ، فحين نجثو لنصلي تولد ثانية نفس الأفعال والكلمات والمشاعر من خيالنا ، وعلي حسب ما كانت طبيعتها قبل صلاتنا فإنها قد توقظ فينا الغضب أو الحزن أو ربما نجد أنفسنا نعيش ثانية نفس الرغبات

التى هاجمت قلبنا ، وربما نضحك بصوت عال - أقول هذا وأنا خجلان - حين نفكر في بعض الكلمات أو الأفعال الطائشة التى تتبادر إلي ذهننا ، فتسعى أفكارنا للهروب في صورة أحلام اليقظة أو الاستسلام للأوهام والأحلام.

ومن ثم فإن كافة الأفكار الغريبة التى نتحرر منها أثناء وقت الصلاة يجب أن تُبعد باهتمام مبعثه هيكل قلبنا قبل أن نبدأ الصلاة، وعندئذ نستطيع أن نتنبه إلي نصيحة الرسول "صلوا بلا انقطاع". وثانية " في كل مكان رافعين أيادى طاهرة بدون غضب ولا جدال" (١تي٢:٨). ومع هذا سنظل إلي الأبد غير قادرين علي هذه الصلاة مالم تطهر أرواحنا من مسحة الرذيلة ومالم تكرس إلي الفضائل تماماً مثل فضائلها كى ما تتعضد بتأملها المتواصل في الإله العظيم.

من السهل أن نقارن الروح بريشة حساسة رقيقة، فهى إن ظلت غير ملوثة بالرطوبة تطير تلقائياً في الهواء ، وعلي النقيض من هذا إذا بللت أو رطبت بأي سائل تسقط علي الفور وتمنع من الصعود والطيران ، ولا تصبح حركتها الطبيعية مصدراً للبهجة فيما بعد ، لأن ثقل تبللها يجذبها إلي الأرض.

هذه هى أيضاً حالة الروح، فإن لم تثقلها الهموم الدنيوية وتلوثها الشهوة يستطيع المرء أن يقول إنها ترتفع بواسطة الميزة الفطرية لطهارتها ، وعند أى تأمل روحى تحلق نحو الأعالي وتطير إلي الأشياء السماوية غير المرئية تاركة الأشياء الدنيوية خلفها ، ومن ثم يتحدث الرب إلينا نحن بوجه خاص حين يقول في الإنجيل "فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحياة". (لو٢١:٣٤).ألا نريد أن تصل صلواتنا إلي السماء ؟ لنسعى إذاً إلي تحرير قلوبنا من كل رذيلة أرضية ، ولنطهر أنفسنا من عبودية الشهوة كى ما نمتلك تلك الرقة الملائمة لروحنا ، وعندئذ تتحرر صلواتنا من ثقل الرذائل وتصعد إلي الله ذاته.

ومع هذا دعونا نتفحص أسباب ثقل الروح التى أوردها المخلص، فهو لم يتحدث عن الزنا أو الفسق أو القتل أو التجديف ، لأن كل واحد منا يعلم أن هذه الشرور هى سبب الموت والدينونة ، بل ذكر الانغماس في الملذات والسكر وهموم أو اهتمامات الحياة المعاصرة .... وهذه الرذائل الثلاث تثقل الروح التى تنغمس فيها لأنها تفصلها عن الله وتجذبها إلي الأرض، ومع هذا فإنه من السهولة بمكان لنا أن نتجنبها ولاسيما أولئك الذين هم بعيدون عن العالم بسبب المسافة وطريقة الحياة التي أخذناها ، فليس لدينا مبرر أيا كان في أن نصبح أسرى باهتمامنا بالأشياء المرئية أو بالإفراط في الشراب أو الطعام.

إلا أنه يوجد نوع آخر للانغماس في الملذات أقل ضرراً ، وهو وجود السكر الروحى وهو أكثر صعوبة في تجنبه ،يوجد نوع آخو من الهموم والاهتمامات الدنيوية ، وحتى حين نتخلي تماماً عن كل ممتلكاتنا وحين نعيش في امتناع كامل عن الطعام والشراب وطرق الحياة الرغدة ، وحين نحرر أنفسنا من جوهر الهموم والاهتمامات لا نزل عرضة لأن نقع في شركها، ومن ثم فإن الشاعر يتحدث عنا حين قال " استيقظوا أيها السكارى ولكن ليس بالخمر (جويل ١: ٥). وكتب آخر: "توانوا وابهتوا تلذذوا واعموا قد سكروا وليس من الخمر ترنحوا وليس من المسكر" (إشعياء ٢٩ : ٩).

الخمر الذى يسبب هذا السكر لا يمكن أن يكون إلا "سم الأصلال" كما يقول النبى، فقط انظر إلي المصدر الذى تأتى منه "لأن من جفنة سدوم جفنتهم ومن كروم عمورة " (تثنية ٣٢ : ٣٢). ألا تزال تريد أن تعرف ثمر هذا الكرم ونتاج تلك البراعم ؟ "عنبهم عنب سم ولهم عناقيد مرارة " (تث٣٢:٣٢). نعم فإن لم نتطهر بالكامل من كل رذائلنا ، وإن لم نتحرر من كل شهواتنا فإنه هباء نتخلي عن الإفراط في الخمر والطعام حيث إن قلوبنا ستنأى بحمل سكر ونهم، أكثر خطورة ...

أنا مقتنع بأنه من المستحيل ان نميز كل أشكال الصلاة بدون نقاوة القلب غير العادية من الروح القدس . إن عدد أنواع الصلاة كبير جداً مثل الحالات والنزعات المختلفة التى توجد في الروح الواحدة ، وليس في جميع الأرواح كلها ، وأدرك أن قساوة قلبي تجعل من المستحيل لي أن أميزها جميعاً، ومع هذا فسوف أحاول أن أضعها في مختلف الأحوال في حدود تجربتي البسيطة ، تتغير الصلاة في كل وقت وفقاً لدرجة النقاوة التى وصلت إليها الروح وفقاً لميولها الفعلية ، سواء كانت بسبب المؤثرات الخارجية أم التلقائية ، ومن المؤكد أن الصلاة ليست كما هى في كل الأوقات بالنسبة لأي أحد ، فنحن نصلي بطريقة مختلفة حين يكون قلبنا خال من الهموم ، حين يكون مثقلاً بالأسى واليأس، وتأخذ صلواتنا شكلاً معيناً حين نقع في نشوة الحياة فوق الطبيعية وشكلا آخراً حين تحاصرنا المغريات العنيفة ، وحين نطلب المغفرة لذنوبنا، فصلاتنا لا تكون تضرعاً من أجل النعمة أو الفضيلة أو الشفاء من عادة شريرة ، فصلاة الندم التى يلهمها التفكير في جهنم. والدينونة النهائية هى نوع ما ، أما الصلاة من قلب محترق بالرغبة والأمل في بركات مستقبلية فهى نوع آخر ، في الضراء والأخطار، في السلام والأمان، سواء كنا مغمورين بضوء من إظهار لأسرار السماء أم مصعوقين بالعقم في الفضيلة وبالجدب في التفكير ، ففى كل طريقة متفردة متميزة نصلى.

تحدثت فيما سبق عن الصلوات المختلفة ، وكانت كلماتي قليلة جداً بالنسبة لمتطلبات مثل ذلك الموضوع ، لأنه كان لزاماً عليّ أن أجد حديثى بالوقت المتاح لنا ، وبافتقاري إلي البصيرة في جانب ذكائي المحدود وقلبي الأرضى ، والآن تواجهنى مشكلة أكثر خطورة ألا وهى الوصف التفصيلى لأنواع الصلاة المختلفة.

الرسول يميز أربعة منها : " فأطلب أول كل شئ أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات " (١تي٢:١). وهذا التقسيم لا نشك في أنه ليس غير ذى

جدوى، ومن ثم يجب علينا أولاً أن نحاول معرفة معنى هذه الكلمات : طلبات ، صلوات ، ابتهالات ، تشكرات، وعندئذ نرى إن كانت هذه الأنواع الأربعة تستخدم في نفس الوقت حين نصلي كى ما نستدعيها دائماً ، وفي كل مكان، أم هل من المناسب أن نقدمها علي حدة كل بدورها ؟ أم هل ينبغي أن نقدم طلبات في وقت معين وفي وقت آخر نقدم صلوات ، واليوم نقدم ابتهالات وغداً نقدم تشكرات ؟ أم بالحري هل ينبغى علي أحد الأشخاص أن يقدم طلبات إلي الله علي أن يقدم آخر صلوات؟ وشخص ثالث يبتهل ، وشخص آخر يقدم تشكرات كى ما يصلي كل واحد حسب العمر والتوهج والحماسة.

ومن ثم أولاً : ما هو المعنى الدقيق لهذه المصطلحات ؟ هذا هو سؤالنا الأول ، فما الفرق بين الصلوات والطلبات والابتهالات ؟ وثانياً : أينبغى لهذه الأفعال أن تتم علي حدة أم معاً ؟ وثالثاً هل هناك بعض التعاليم الخاصة لصالح المؤمن في نفس ذلك الترتيب ، الذى سجل به الرسول هذه الكلمات علي مسؤليته الخاصة ؟ أم هل ينبغى ان يُنظر إلي هذا التسلسل بطريقة أسهل بفكرة أن الرسول لم تكن لديه نية معينة في عقله ؟ بصراحة تبدو هذه الفكرة الأخيرة غريبة بالنسبة لي ، فأنا لا أستطيع أن أصدق أن الروح القدس تحدث علي لسان الرسول بطريقة عرضية بلا حافز، والآن سندرس كافة هذه الأنواع كل علي حدة وبالترتيب التى دونت به، ونتفحصها وفقاً للنعمة التى يهبها لنا الله.

"فأطلب أول كل شئ أن تقام طلبات " ، الطلبة هى صرخة ، صلاة خاطئ لمستها نعمة التوبة يطلب فيها أن تغفر خطاياه الحاضرة والماضية.

الصلاة هي فعل به نقدم أو نتعهّد بشئ إلي الله ، وقد أسماها اليونانيون "euche" أى "تعهد" .. وهذه هى كيفية تحقيق معني الصلاة : نحن نصلي حين نعتزل

عن العالم ونتخلّي عن مطاردته وأساليبه كي ما نخدم الرب بكل حرارة روحنا ، ونصلي حين نلتزم بازدراء مجد هذا الزمان ، وحين نطأ بأقدامنا كافة الثروات الأرضية كي ما نلتصق بالرب بقلب منسحق وروح متواضعة متضعة ، ونصلي حين نتعهد لله بطهارة الجسد وبالصبر الذى لا يهن، وحين نلتزم باستئصال جذور الغضب والحزن التى تؤدى إلي الموت من القلب.

أما إذا لم نف بوعودنا وسمحنا لأنفسنا بأن يقهرنا الانحلال ورجعنا إلي رذائلنا السابقة فسوف نكون عرضة للمحاسبة عن صلواتنا وتعهداتنا ، وعندئذ يمكن أن يقال فينا " أن لا تنذر خير من أن تنذر ولا تفى (جا٥:٥) " أو كما يقول اليونانيون " أن لا تصلي خير من أن تصلي ولا تصدق "

تأتى الابتهالات في المرتبة الثالثة ، وهى عبارة عن الصلوات التى نقدمها من أجل الآخرين في حماسة عقولنا ، سواء كانت التضرعات من أجل أولئك الأعزاء عندنا ليحظوا بالسلام في العالم أو كما يقول الرسول "لأجل جميع الناس لأجل الملوك وجميع الذين هم في منصب" (١تي٢:٢). وبعد ذلك في المرتبة الرابعة تأتي التشكرات، فحين تتذكر الروح البركات الماضية التي تلقتها من الله، وتتفكر في تلك التى تنعم بها الآن ، أو حين تتطلع الي المستقبل انتظاراً للمكافأة غير المحدودة المعدّة لأولئك الذين يحبون الله تغمر في نشوة لا توصف من الامتنان ، وقد يحدث أن مثل هذه الأفكار تقودها إلي الصلاة بسكيب أعظم من الشكر ، لأنها حين تتأمل بطهارة عقل كل تلك الأشياء المعدّة للقديسين في الحياة المزمعة أن تأتى، تشعر بأنها مضطرة بأن تسكب نفسها أمام الله في امتنان شديد بعد أن غمرها فرح لا حد له.

هذه الأنواع الأربعة هي مصادر الصلاة المثمرة ، وهذا الاسم يلائمها تماماً، فالتجربة علمتنا أن الطلبة هى بنت التوبة والصلاة "النذر" تولد في ضمير صاف من

الإيفاء بتقدمة المرء، وفي تحقيق نذر المرء والابتهالات تنساب من حرارة المحبة، أما التشكرات التى هى ثمار التأمل في بركات الله وفي عظمته وصلاحه ، فكثيراً ما تؤدي الي صلوات متقدة كلها توهج وحماسة ، وبالإضافة لهذا فإنه من المؤكد أن كل هذه الصلوات مفيدة ، إن لم تكن أساسية لكل واحد منا ، ومن ثم نجد أن نفس الشخص - في حالات مختلفة أو وفقاً لظروف متنوعة - يقدم طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات.

ومع هذا يبدو أن الشكل الأول من أشكال الصلاة ملائم علي نحو خاص للمبتدئين الذين مَا تزال الرذائل تحدق بهم والندم يطاردهم ، أما الشكل الثانى فهو لأولئك الذين يحرزون تقدماً في سعيهم للفضيلة ، وتحركهم بثبات صوب الأعالي، في حين يبدو أن الشكل الثالث ملائم لأولئك الذين تتطابق حياتهم بالكامل مع التزاماتهم الذين إن أبصروا ضعف قريب ما لهم، يشعرون أنهم مضطرون في محبتهم، لأن يبتهلوا للآخرين ، وأخيراً الشكل الرابع فهو امتياز مقصور علي أولئك الذين استأصلوا من قلوبهم شوكة الندم المؤلمة ، ومن ثم فهم يعيشون الآن في سكينة يتفكرون بطهارة قلوبهم في البركات السخية والرحمات التى سكبها الرب عليهم في الماضى ، والنعم التى لا يزال يباركهم بها ، والأمجاد التى أعدها لهم في الحياة المزمع أن تأتى ، فقلوبهم متقدة مبتهجة في نشوة صلاة من اللهيب لا تستطيع الكلمات أن تعبر عنها.

إلا أنه قد يحدث لتلك النفس التى وصلت إلي هذه المرحلة النهائية من الطهارة الحقيقية ، والتى تعيش فيها متأصلة قد تستخدم في نفس الوقت كافة أشكال وأنواع الصلاة ، وهى تحمل من واحدة إلي الأخري بلهيب ملتهم شديد، وتسكب نفسها في صلوات حية طاهرة ينطق بها الروح القدس داخلنا - باسمنا- بتأوهات لله لا توصف فهى تعبر وتسكب من قلبها في لحظة واحدة فقط من الصلاة الصامتة المعبرة مقداراً

كبيراً من المشاعر والأحاسيس التى لا تستطيع أن تعبر عنها أو حتي تخيلها في أية لحظة أخرى .

وقد يحدث أيضاً أن تستطيع نفس أخرى أن تقبل إلي هذه الصلاة المركزة الطاهرة بدرجة ما - حتى في الحالة الأولي والأدنى - كنتيجة للتأمل في الدينونة الأخيرة ، فبينما ترتعد الروح بالفزع والرهبة عند التفكير في المحنة الفظيعة، والعقاب الذى ينتظر الخطاة نشعر في تلك اللحظة أن الندم يعتصرها ، وكنتيجة لوفرة طلباتها يتأتى لها موجة حماس لروحها ، وهذا الإحساس يمتلكها بالكامل وليس أقل من غيرها التى- في بهاء طهارتها - تتأمل في نعم ربها فتحمل للأعالي في فرح وسرور، ومثل هذا يمكن أن يحدث لنفس مبتدئة لأنها - كما يقول الرب- تحب أكثر، مدركة أنها قد غفر لها أكثر.

ينبغى أن نعتنى علي نحو خاص باتباع هذا التصور الإنجيلي الذى يخبرنا بأن ندخل إلي مخدعنا ، ونغلق بابنا حين نصلي للآب . وفيما يلي أوضح كيفية اتباع تلك الوصية . نحن نصلي في مخدعنا حين نسحب قلوبنا بالكامل من جلبة وضوضاء الأفكار والهموم الدنيوية ، وفي نوع ما من الحديث الخصوصي المملوء بالألفة، نخبر الرب بكل ما نطلب ونصلي والباب مغلق ، حين نصلي بشفاة مغلقة ونتضرع إلي ذلك الذى لا يهتم بالكلمات بل يفحص قلوبنا.

نحن نصلي سراً حين نتحدث إلي الله بقلبنا وبهدف روحنا فقط ، ونخبره هو فقط، عن احتياجاتنا كي لا تستطيع حتي قوي العدو أن تعرف طلباتنا ، وهذا في واقع الأمر هو سبب الصمت العميق الذى ينبغى ان نحتفظ به حين نصلي ، فلا ينبغى علينا فقط أن نتجنب صرف انتباه أولئك الذين حولنا بهمساتنا وتأوهاتنا التى قد تعوقهم في صلواتهم ، بل أيضاً ينبغى علينا أن نخفى موضوع تضرعاتنا عن أعدائنا الذين

يحاولون أن يزيدوا من هجماتهم حين نصلي ، وبهذه الطريقة نحقق الوصية "احفظ أبواب فمك عن المضطجعة في حضنك " (ميخا٧:٥).

بالإضافة لهذا ، ينبغى أن تكون صلواتنا متكررة، لكن قصيرة، خشية من أنه حين تطول فإن العدو الذى يسعى لمهاجمتنا يجد الفرصة ليدخل عليها بعض الارتباك ، وفي مثل هذه الصلوات لدينا ذبيحة حقيقية "ذبائح الله هى روح منكسرة" (مز٥١:١٧). وهناك أيضاً نقدم القربان الصالح والتقدمة الطاهرة "ذبائح البر" (مز٥١:١٩) و "ذبيحة التسبيح" (عب١٣:١٥) ولدينا كذلك تقدمات الحيوانات المسمّنة المحروقة ، وتقدمة القلب المنسحق المتضع، فإذا قدمنا أنفسنا أمام الله وفقاً للطريقة وبالحماسة التى تكلمنا عنها هنا ، سوف نستطيع أن نغنى ونعرف أنه يصغى لنا : "لتستقم صلواتى كالبخور قدامك ليكن رفع يدى كذبيحة مسائية " (مز١٤١:٢).

الفصل التاسع

الإصغاء للرسالة

في الصفحات السابقة دعينا لنستمع إلي عدد من آباء الكنيسة والكُتّاب المسيحيين في القرون الأولي من العصر المسيحي، بحثاً عن إجابة للسؤال الذى هو موضوع هذا الكتاب ألا وهو : ماذا يقول الآباء لنا عن الصلاة ؟ وفي بعض الأمثلة يبدو أننا قد شردنا كثيراً واتبعنا أشكالاً وموضوعات قد تبدو غريبة علي الأسماع الحديثة والعادات المعاصرة ، وربما قد حدث أن كل النصوص بعضها مع البعض قد ساهمت فقط في شحذ سؤالنا ، ولكن بوجه عام فقد كانت الرسالة متواصلة أمينة للكتاب المقدس ومهتّمة بفحص وتفسير الطريقة التى فهم بها أسلافنا في الإيمان ، وسعوا لحث مجئ الله إلينا وذهابنا إليه.

في هذا الجزء الأخير نعرض عدداً من النصوص المختصرة في محاولة منا لتقديم بحث متنوع عن التعاليم المسيحية الأولي فيما يتعلق بالصلاة ، وسوف تتحدث هذه المختارات عن نفسها، فليس المقصود منها أن تكون سلسلة مقتطفات من كتابات آباء الكنيسة للقرن العشرين والمؤلفون الذين لم ننوه عنهم من قبل، في هذا العمل يظهرون في الصفحات التالية و " تعريفات " الصلاة وطريقة الصلاة الموضحة هنا قد تم إعدادها بطريقة الإعادة المختصرة للنقاط الأساسية" في الكتاب بأكمله.

١ - الصلاة هى "حديث للعقل مع الله، فابحث إذاً عن الحالة التى يحتاجها

العقل كى ما يميل إلي ربه – دون النظر للوراء – ويتحدث معه دون أى وسيط " .

أوغريس البنطى – حول الصلاة ٣٢ (ص ٧٩ – ١١٦٨)

٢- إذا كان حقيقياً أن المبدأ السماوى موجود في كل مخلوق ، فعلي النقيض من هذا فإن كل مخلوق لا يعيش في المبدأ السماوى ، بواسطة التضرع إلي الله في الصلوات المقدسة بعقل هادئ نأتى إلي العيش في الله ، لأن هذه السكنى ليست ممركزة كى ما تتغير من مكان لمكان ... فإذا كنا في قارب وألقيت لنا بعض الحبال المثبتة إلي صخرة ما كى ما تُنقذ، فمن الواضح أننا بهذا لا نجذب الصخرة إلينا، بل بالأحرى فإننا – ومعنا القارب – ننسحب تجاه الصخرة ... وهذا هو سبب أنه لا يجب علينا بالصلاة أن نجذب تجاه أنفسنا تلك القوة التى هي في وقت ما وفي نفس الوقت في كل مكان، بل نضع أنفسنا في يديه كى ما نتحد به .

ديونسيوس الأريوباغي الأسماء الإلهية-الجزء الثالث

٣- أعرف عن الصلاة أنها ليست فقط الموجودة علي الفم ، بل أيضاً تلك التى تنبع من عمق القلب ، فحقاً كما أن الأشجار التى لها جذور عميقة لا تقتلعها أو تستأصلها العاصفة العاتية ... كذلك أيضاً فإن الصلوات التى تأتى من أعماق القلوب، ولأنها متأصلة هناك فهى تصعد إلي السماء بثقة ، وهى لا تنحي جانباً تحت وطأة أى هجوم مربك علي الإطلاق، ولهذا يقول المزمور " من الأعماق صرخت إليك يارب " (مزمور ١٣٠ ، ١) .

يوحنا ذهبي الفم

"في عدم المقدرة علي فهم الله" الحديث الخامس (الجزء ٢٨ ، ٢ ، ٣٢٠)

٤- الصلاة هى ابنة طول الأناة .. الصلاة هي ثمرة الفرح والامتنان.

أوغريس البنطي

حول الصلاة ١٤ - ١٥ (ص ٧٩ - ١١٦٩)

٥- إذا رغبت في أن تصلي فأنت تحتاج إلي الله الذى يعطى الصلاة لمن يصلي

أوغريس البنطي

حول الصلاة ٨٥ (ص ٧٩ ، ١١٨٠)

٦- إذا كنت عالماً باللاهوت فسوف تصلي بحق وإن صليت بحق فأنت عالم باللاهوت

أوغريس البنطي

حول الصلاة ٦٠ (ص ٧٩ ، ١١٨٠)

٧- حين يعمل الروح القدس في الروح فإن تلك النفس سوف تنشد مزامير وتصلي في خضوع وحلم في سر قلبها ، وهذا الميل تصاحبه دموع داخلية وبعد ذلك شعور بنوع معين من الكمال يظمأ ويطوق إلي السكون.

ديداخوس من بوتيك

فصول عن الكمال الروحى ٧٣ (الجزء ٥ ، ٣ ، ١٣٢)

٨- الرب يسكن في الروح المتقدة ، ويؤسسها في عرش مجده ، ويعيش ويحكم هناك ، والنبي حزقيال يتحدث عن الأربعة كائنات الحية المربوطة إلي مركبة

الرب ويقول إن لها أعين لا تحصى ، وهي في ذلك مثل الذى يطلب الله – ماذا أقول ؟ – مثل ذلك الذي يسعى الله إليه وهذا الشخص لا يصبح إلا نظرة حية مثبتة علي الله.

عظات مكاريوس

عظة ٣٣ (ص٣٤ ، ٧٤١)

٩– الذى يصلي إنما يشترك في صلاة كلمة الله، الذى يحيا وسط أولئك الذين لا يعرفون الكلمة ، والذى لا يغيب عن صلاة أى أحد ، الكلمة يصلّي إلي الآب مع المؤمن الذي هو وسيطه، فحقاً إن ابن الله هو الكاهن الأعلي لذبائحنا وشفيعنا لدى الآب، وهو يصلي من أجل أولئك الذين يصلون، ويتضرع من أجل الذين يتضرعون.

أوريجانوس

(حول الصلاة) ١٠ (ص١١ ، ٤٤٥)

١٠– إن السكون والسلام والفرح اللذيذ بالشركة مع الله، هو ذلك الذى يسعى إلي تضمين الشئ الروحى في الشئ الجسدى ... والسكون يملأ حدود جسده ذاته ، وهناك يجد مكاناً لسكنى الحكمة.

يوحنا الدرجي

السلم المقدس ، الدرجة السابعة والعشرون ١٠٢٥ (ص٨٨ ، ١٠٩٧)

١١- سئل مكاريوس " كيف ينبغي أن نصلي ؟" فأجاب الشيخ "ليس هناك أية حاجة لأن ينسى المرء نفسه في الكلمات ، فيكفي أن نمد أيدينا ، ونقول "ارحمنا يا رب حسب مشيئتك ومعرفتك" ، وإذا أثقلتك المحن والنزاعات أصرخ "ساعدنى يارب " فالرب يعرف ما هو أفضل شئ لك وسوف يرحمك".

مكاريوس المصرى

أقوال الآباء ١٦ (١٩) (ص ٣٤ ، ٢٤٩)

١٢- نادي (أنطونيوس) علي رفيقيه وقال لهما .. " افتكروا دائما في المسيح"

اثناسيوس الأسكندري

vita Antonii (ص ٢٦ ، ٩٦٩)

١٣- تقول الأم سينكلتيكا " يوجد كثيرون يعيشون في الجبال ومع ذلك يتصرفون كما لو كانوا يحيون في خضم جلبة المدينة ، وبذلك فهم يدينون أنفسهم. ومن الممكن أن تكون بمفردك داخلياً في وسط حشد من الناس، ومع ذلك تعيش بمفردك، يمكن أن تنفرد داخلياً عن هذا الحشد ".

سينكلتيكا

أقوال الآباء ١٩ ، ٤١

١٤- أحد الآباء الذين يحملون المسيح يقول لنا : إن الصلاة هى صمت الطاهرين لأن أفكارهم ماهى إلا تحركات سماوية، فتحركات القلب والعقل المطهرين،

هى صوت مملوء حلاوة وبواسطته لا يتوقفون أبداً عن الغناء سراً لله غير الظاهر.

مار إسحق السرياني

رسائل نسكية ٨٥

١٥- قيل لي إن أحد الرجال حين رأى جسد امرأة جميلة علي نحو خاص وجد نفسه مضطراً إلي أن يمجد الخالق ، وأدى هذا المنظر إلي أن يزرف الدموع في محبته لله ... الرجل الذى يختبر مثل هذه المشاعر والأحاسيس في هذه الظروف قد أقيم بالفعل قبل القيامة العامة .

يوحنا كاليماكوس (الدرجي)

السلم المقدس الدرجة الخامسة عشرة (ص٨٨ ، ٨٩٢)

١٦ - أحبائى : الرب هو مرآتنا فافتحوا أعينكم وانظروا إليه وتعلموا إدراك وجوهكم ذاتها.

قصائد سليمان ١٣ تشارلزوورث

١٧- الحزن حمل ثقيل.

الكراهية لا تطاق. لكن الدموع في حضرة الله ، أقوى من أى منها

أوغريس البنطى

قراءة للراهبات ٣٩ (٣٩ ، ١٤٩)

١٨- إذا كنت في البيت صلّ وسبح لله في الساعة السادسة (الساعة الثانية عشرة) أما اذا كنت في مكان آخر صلّ لله في قلبك لأنه في تلك الساعة سُمر المسيح علي الصليب ..

هيبوليتوس ، التقاليد الرسولية ٤١ (أجزاء ١١ ، ١٢٦)

١٩- في كل مرة تجثو ركبنا ونقف ثانية ، فهذا الفعل يبين أن الخطية قد قذفت بنا إلي الأرض، وأن محبة المسيح قد دعتنا من جديد إلي السماء ..

باسيليوس من قيصرية - رسالة عن الروح القدس ٢٧ (الجزء ١٧ ، ٢٣٨)

٢٠- مددت يدى

ذبيحة للرب

الأيدى الممدودة تشير إلي :

الأيدى الممدودة (علي الصليب)

حين أقف منتصباً نعنى

أن الخشبة قد رفعت

هللويا

قصائد سليمان ٢٧

Dar El-Thaqafa

Agnes Cunningham, SSCM

PRAYER

Personal & Liturgical

Message of the Fathers of the Church 16

دار الثقافة